



ليليان بيك

# لا ترحلي





روايات عبير

HARLEQUIN – "ADIR" – No. 54

## لا ترحلي

إلى أين يطير بك الحب حين تستسلم لجناحيه؟ يحلق بريشك، تتحرر من مشاعر الوحدة والعبث، ثم يضعك في قفص، ويقيدك من رأسك حتى أخمص قدميك.

يجمع الحب جميع المتناقضات، ومأساته هو الحبة يحلوها ويرفعها. بلوغ ... مليونير غامض فضولي بحريا متنقلا أسطوره العالم بين المدن هرب من الحب ليه ويرثه فأنعم عن الزواج في شبابه. إلا أن حريته لا بد أن أرجعته، فيهرب بعيدا عن قلبي الذي يعيش في ارتحاله. ولكن ماريون المصقورة الباردة، ... عليه وأرجعته بأنها مخطوبة لدوغلاس. كذبة العاشق يشد كالسكر لا ليث أن تذوب في مياه العيون الدامعة.. ماريون أصلا قلبها خيرا من مارك الفتاة الجميلة التي ... فهل يجعلها الندم على فقدان حبيبها إلى الأبد، تأكل أصابعها ندما أيضا؟ أم تأخذ بالمثل القائل في الحب لا يوجد كبرياء؟




| | | | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|---|---|
| لبنان | ٣ ل.ل | الكويت | ٥٠٠ ف | اليمن | ١٠ ر | السودان | ٥٠٠ م |
| سورية | ٨ ل.س | الإمارات | ١٠ د | تونس | ١ د | U.K. | £1 |
| الأردن | ٥٠٠ ف | البحرين | ١ د | ليبيا | ٧٥٠ د | France | F 10 |
| العراق | ٥٠٠ ف | قطر | ١٠ ر | المغرب | ٨ د | Greece | Drs 150 |
| السعودية | ١٠ ر | عمان | ١ ر | مصر | ٥٠٠ م | Cyprus | P 1 |

# ١ ـ دعوة صامتة

وقفت مارلين وسط الحجرة الصغيرة تنظر حولها في سعادة. كان ذلك أول يوم لها على ظهر السفينة التي ستقضي بها عطلتها لأسبوعين على نهر الراين الذي يمر بوسط أوروبا.

وعلقت مارلين آلة التصوير على كتفها وفتحت باب الحجرة متجهة إلى سطح السفينة. كان الممر طويلاً ويكسو أرضه السجاد الأزرق وخالياً في ذلك الوقت، ولكنها كانت تسمع أصوات الضحكات تنطلق من خلف أبواب الحجرات المغلقة التي يمتلىء بها الممر.

وبينما هي تقف أمام باب حجرتها في تردد رأت رجلاً يسير في الممر باتجاهها، وكان طويل القامة، عريض المنكبين، أشقر الشعر. يسير ببطء، وقد وضع يده في جيب سترته في مظهر يدل على الثقة التامة بالنفس. وعندما اقترب منها أمكنها أن ترى في عينيه الزرقاوين نظرة قوية إن دلت على شيء، فإنما تدل على مدى نفوذه في مجال العمل الذي يقوم به أياً كان هذا العمل. وملامح وجهه تنطق بأنه رجل قوي الشخصية مطاع. كان مظهره جذاباً للغاية ولم يكن هناك أدنى شك في أنه يدرك ذلك تماماً فقد مر على بعد بضعة خطوات من مارلين بدون أن يظهر عليه أي اهتمام بوجودها، حتى أنه لم يحاول الرد على الابتسامة الخفيفة التي ارتسمت على شفتيها.

وشعرت مارلين بانجذاب ونفور تجاه هذا الرجل. وعندما أصبح في

مواجهتها رمقها بنظرة فاحصة متعالية ومرّ بها في برود. ووقفت ماراين رغماً عنها تراقب الرجل وقد تلاشت ابتسامتها وتولاها شعور بالاستياء. وهي تراه يتوقف أمام باب الحجرة الملاصقة لحجرتها. ومدّ يده في جيبه ليخرج مفتاحاً وضعه في الباب وفتحه. وتقدم ليدخل ولكنه توقف والتفت إلى ماراين التي تسمرت في مكانها تراقبه. ورفع حاجبيه وعلى شفتيه ابتسامة مصطنعة وهو يسألها:

«هل ترغبين في التحدث إليّ؟»

وانتبهت ماراين فجأة وهي تفكر في أن الرجل، ربما اعتقد أنها توجه إليه بوقفتها هذه، دعوة صامتة لمزيد من الود بينهما. رغم كونهما غريبين. واندفع الدم إلى وجهها وقد ساءها أن يعتقد الرجل أنها من هذا النوع من الفتيات.

ولم ترد على تساؤل الرجل الذي ارتسمت على شفتيه ابتسامة تهكمية، واكتفت بهز رأسها بالنفي وهي تبتعد متجهة إلى سطح السفينة لتنضم إلى المسافرين الآخرين الذين تجمعوا للتمتع بجمال المناظر الطبيعية حولهم.

ووقفت ماراين تتأمل ما حولها وقد ازدحم النهر والميناء بمختلف أنواع السفن، وأخذت تتنقل في أرجاء المكان وهي تلتقط بعض الصور التذكارية. وبعد قليل دقّ الجرس معلناً موعد العشاء، فتوجه الجميع إلى حيث توجد صالة الطعام. وانضمت ماراين إليهم وأخذت تبحث عن المائدة التي ستجلس إليها.

وعندما وجدتها كان يجلس إليها شخصان أحدهما سيدة شابة. جلس في مواجهتها رجل بدا أنه زوجها وقد نهض عن مقعده بأدب عندما تقدمت ماراين لتجلس في مقعدها. أما المقعد الرابع في مواجهتها فكان خالياً عندما جلست، ولكن سرعان ما تقدم شاب ليشغله. وقبل أن يجلس قدم نفسه قائلاً أنه يدعى سيلاس هادلي وأنه يعمل مصوراً فوتوغرافياً وأنه أعزب. ثم قدم الآخرون أنفسهم بدورهم فعرفت ماراين أن السيدة تدعى باميلا ريد وأن الشخص الذي يجلس في مواجهتها زوجها ويدعى فيليب.

ثم التفت سيلاس إلى ماراين ونظر في أصبع يدها اليسرى وهو يقول:



«والآن جاء دورك لتعرفينا بنفسك»

فقدمت ماراين نفسها قائلة: إنها تدعى ماراين ميتلاند وهي تعمل مدرسة وأنها غير متزوجة.

فنظر إليها فيليب قائلاً:

«إنك تبدين عارضة أزياء»

فضحكت زوجته وهي تقول إن ذلك يجعلها تشعر بالغيرة.

وشعرت ماراين بالحرج فاتجهت بنظرها بعيداً. وكان المكان قد امتلأ تقريباً بجمهرة المسافرين. وفي مواجهتها على الجانب الآخر من الممر مائدة مخصصة لأربعة أشخاص، جلس حولها رجل وسيدة ومعهما فتاة شابة كان واضحاً أنها ابنتهما.

ولم تمض لحظات إلا وحضر الشخص الذي سيشغل المقعد الرابع المجاور للفتاة وكان هو الرجل الذي قابلته ماراين في الممر.

وتسارعت دقات قلب ماراين وهي ترى الرجل يأخذ مكانه إلى المائدة ويقدم نفسه للجالسين إليها. وقد بدا لأول وهلة أن الفتاة أعجبت به.

والتفت الرجل حوله، وعندما رأى ماراين هز رأسه بالتحية بطريقة ساخرة سريعة. وظلت هي تحملق اتجاهه لبضعة ثوان ثم هزت رأسها بفتور وأشاحت بنظرها بعيداً عنه.

وانشغل الجميع بتناول الطعام، وتعالت أصوات الضحكات في أرجاء المكان، ولم تستطع ماراين رغماً عنها أن تتجاهل تماماً وجود الرجل الجالس في الناحية الأخرى من الممر. ولدهشتها الشديدة أخذت تسترق النظر إليه والتقت بنظراته في إحدى المرات فشعرت بالدماء تندفع إلى وجنتيها. وأخذت ماراين تسائل نفسها ما الذي يجذبها إليه؟ هل هي الخطوط الساخرة التي تحيط بفمه، أم هذه النظرة الساخرة التي تطل من عينيه الزرقاوين.

وكانت ماراين على يقين من أنه يشعر بنظراتها إليه رغم أنه كان يتحدث مع الآخرين. وبدا جذاباً للغاية وهو يضحك بصوت عال. ووجدت

مارلين نفسها وقد تملكها شعور غريب.

وانتهزت مارلين أول فرصة سنحت لها بعد انتهاء العشاء لتنسحب في أدب وتصعد إلى سطح السفينة من جديد.

حلّ الظلام، والسطح كان خالياً تقريباً في ذلك الوقت والهواء منعشاً. فاقتربت من حافة السفينة واستندت إليها وانحنت لترى انعكاس صورتها فوق سطح الماء في ضوء الأنوار التي تنبعث من السفينة. وبينما هي كذلك رأت صورة أخرى تنعكس على سطح الماء، عرفتها على الفور، وسمعت صوتاً إلى جانبها يقول:

«لم أكن لأفعل ذلك لو كنت مكانك!»

كان الرجل نفسه الذي قابلته في الممر وجارها في السفينة، وتجاهلت مارلين نصيحته وزادت في انحنائها فوق الحافة فاستمر الصوت يقول:

«ما لم تكوني تريدين فعلاً السقوط في الماء لتجذبي الأنظار إليك، فإن ذلك سيكون شيئاً مؤسفاً للشركة التي تمتلك السفينة. فمن المؤكد أنها لا تريد أن تفقد أحد المسافرين ولم تبدأ الرحلة بعد»

وشعرت مارلين بالغيظ يتملكها فزادت في تحديها وهي تنحني أكثر وأكثر، وفجأة استقامت في وقفتها فقد جاءها صوت الرجل غاضباً قوياً وهو يصيح:

«يا آنسة ميتلاند»

ووقفت مارلين في مواجهته وهي تسأله في دهشة:

«كيف عرفت اسمي مع أن قائمة المسافرين لم تعلّق بعد؟»

فابتسم الرجل بطريقة مصطنعة، وابتعد عنها بدون أن يبالي بالرد عليها.

وحاولت مارلين ابعاد ذلك الرجل عن أفكارها والاستمتاع بمنظر الميناء الجميل وهو يسبح في الأضواء. ثم تذكرت أنها تريد أن تفرغ محتويات الحقيبة الثقيلة فاتجهت إلى الدرج وبينما هي تهبطه متجهة إلى حجرتها، تعثرت قدمها ولكن قبل أن تهوي إلى أسفل امتدت ذراعان لتمسكا بها في قوة، لتمنعاها من السقوط وكادت تصرخ من الألم والذراعين القويتين تلتفان حولها في قوة وعنف، وشعرت بالحرج.



ونظرت إلى أعلى لتشكر منقذها فاكتشفت أنه جارها في السفينة، ووقف ينظر إليها بدون أي تعبير على وجهه.

واندفعت تقول وكأنها تدافع عن نفسها:

«انه مجرد حادث، لم أتعمّد السقوط أو لفت الأنظار إليّ كما سبق واتهمتني فوق سطح السفينة»

فرد الرجل بغضب قائلاً:

«فوق سطح السفينة كنت تتعمدين إيذاء نفسك لمجرد إغاظتي، اما الآن فإن المسألة مجرد اهمال منك، يبدو أنك مصممة على إلحاق الأذى بنفسك»

ثم أضاف ساخراً:

«ربما... تريدين مطالبة شركة الملاحة بتعويض لتغطية نفقات رحلتك»

ولم تحاول مارلين الرد على سخريته فقد كان المكان مليئاً بالمسافرين واكتفت بأن تقول بصوت منخفض:

«كنت أتمنى أن ينقذني أيّ شخص آخر غيرك، بل كنت أتمنى أن تدعني أسقط وأصاب لتتخلّص من وجودي»

ولكن الرجل مضى وتركها.

وفي حجرتها جاهدت مارلين لاستعادة حالتها الطبيعية مصممة على ألاّ تدع هذا الرجل يفسد عليها رحلتها، ولكن فكرة وجودهما معاً في السفينة لأسبوعين ملأتها باليأس والخوف، فقد بدا على الرجل النفور الشديد منها.

ونظرت مارلين إلى صورتها التي انعكست على زجاج النافذة وهي تسائل نفسها: ما الذي يدفع هذا الرجل إلى النفور منها إلى هذا الحد؟ كان وجهها بيضاوياً جميلاً وعيناها واسعتين رماديتين وشعرها أسود طويلاً، وذات جسد دقيق، لم يكن بها ما يمكن أن يثير غضب ذلك الرجل إلاّ تلك النظرة التي تنطوي على الثورة والتي تطل من عينيها عندما تغضب.

ونظرت مارلين إلى دفتر الرسائل الموجود فوق المكتب، وفكرت في أن تكتب رسالة.. ولكن لمن تكتب، هل تكتب لأهلها الذين يقيمون في شمال انكلترا أم

دوغلاس زميلها في المدرسة والذي كانت تخرج معه في بعض الأحيان. حقاً إن دوغلاس شخص طيب وغير أناني، ولكنه لم يمكنه أبداً أن يحرك في أعماقها أية مشاعر عنيفة حتى عندما كان يقبلها في بعض الأحيان.

وأخيراً قررت ألا تكتب إلى أحد فليس هناك مايستحق أن تكتب عنه. واتجهت إلى الحقيبة الموضوعة إلى جانب الفراش وأخذت تبحث عن المفتاح الخاص بها في جيبها، ولكن بدون جدوى فأيقنت أنه فقد منها.

ولم يكن بإمكانها الاستغناء عن حاجياتها الموجودة داخل الحقيبة لذا قررت الاستعانة بإدارة السفينة لفتحها بالقوة بعد أن أخفقت هي في ذلك. واتجهت بالفعل إلى مكتب الاستقبال حيث كان يجلس أحد كبار المسؤولين في السفينة وشرحت له مشكلتها، فطلب إليها الرجل أن تحاول استخدام أي مفتاح آخر.

وبينما هي تتحدث مع المسؤول رأته يتخطاها بنظره لينظر إلى شخص يقف خلفها وسمعته يتحدث معه بالفرنسية. والتفتت مارلين إلى الخلف لتفاجأ بالرجل، جارها في السفينة.

ونظر إليها قائلاً في سخرية:

«والآن فقدت مفتاحك.»

وغاظ مارلين قوله فرفعت رأسها في تحد قائلة:

«لاداعي لأن تتعب نفسك، سأدبر أمري.»

ولكن الرجل تجاهل قولها تماماً وهو يتحدث إلى المسؤول قائلاً إنه سيعمل على حل هذه المشكلة.

واتجه معها إلى حجرتها وفتح الباب ودخل وتصرف وكأن له مطلق الحرية في أن يفعل أي شيء.

وطلب منها أن تعطيه أي مفتاح آخر ليحاول فتح الحقيبة به. ولما لم ينجح في ذلك التفت إليها قائلاً:

«ليس أمامنا سوى استخدام القوة في فتحها أو تظل الحقيبة مغلقة حتى نهاية الرحلة، وأنا أعتقد بأنك أضعت المفتاح عندما كنت تتحدثين بغباء فوق حافة



السفينة.»

وتملكها الخجل إذ أدركت أنه على حق في قوله. ثم سمعته يسألها:

«والآن ماذا قررت يا آنسة ميتلاند، هل نترك الحقيبة على حالها؟»

«ولكنني لا أستطيع ذلك لأن بها جميع مستحضرات التجميل الخاصة بي.»

فأخذ الرجل يتفحص وجهها قبل أن يقول:

«أنت تستخدمين مستحضرات التجميل! إن بشرتك تحسدك عليها جميع النساء.»

هز رأسه ثم أردف:

«إذن ليس أمامنا سوى فتحها بالقوة.»

وغادر الرجل الحجرة وعاد بعد قليل يحمل أداة حديدية أخذ يعمل بها برفق أولاً لفتح الحقيبة، ولما لم يفلح في ذلك اضطر إلى استخدام العنف فتمزقت الحقيبة وتناثرت محتوياتها وحاجياتها الخصوصية فشعرت مارلين بالحرج، واندفعت تجمعها لتدفع بها بعيداً عن ناظريه وهي تسأله:

«والآن ما العمل وأنا لا أستطيع أن أجمع كل حاجياتي في حقيبة واحدة؟ هل كان من الضروري أن تمزقها إلى هذا الحد؟»

فابتسم بطريقة استفزازية وهو يقول:

«للأسف نعم، تعاملت مع الحقيبة تماماً كما أتعامل مع المرأة. استخدمت اللين أولاً. ولما لم يفلح ذلك لجأت إلى العنف.»

فسألته:

«وهل تعرف كيفية التعامل مع النساء؟»

فلما أجابها بالايجاب ترددت قليلاً قبل أن تسأله إن كان متزوجاً. فلما أجاب بالنفي ردت قائلة:

«وأنا كذلك.»

فقال الرجل في لهجة لاتخلو من السخرية:

«هذا طبيعي وإلا لما كان اسمك الآنسة ميتلاند.»

فسألته:

«ولكن كيف عرفت اسمي؟»

«إن لي طرقي الخاصة»

وغادر الرجل الحجرة ليعود مرة أخرى وهو يحمل حقيبة من الجلد الفاخر عرض أن يعيرها إياها.

وترددت ماريلين وهي تأخذ الحقيبة وقالت:

«ولكنها لضخمة جداً بالنسبة إلي.»

«إنك أول فتاة أقابلها تقول أن أي شيء ضخم جداً بالنسبة إليها.»

«ولكن كيف أعيدها إليك؟»

ففتح الرجل الحقيبة وأشار إلى بطاقة ألصقت بداخلها وهو يقول:

«هذا هو عنواني في لندن وأنا أدعى بارون يمكنك أن تتصل بي هاتفياً. فإذا وجدت أن ذلك سيكلفك كثيراً لأنني أعرف أنك تقيمين بعيداً عن لندن، يمكنك الكتابة إلي. في أي حال أرجو أن تعيدي الحقيبة إلي.»

«يمكنك أن تثق بي يا سيد بارون.»

«لم يخطر ببالي أبداً ألا أثق بك يا آنسة ميلاند.»

ثم تركها وخرج فاندفعت خلفه لتشكره على مساعدته. فهز رأسه في سخرية وهو يدخل حجرته قائلاً:

«إذا احتجت إلى خدماتي في أي وقت حتى أثناء الليل، فأنت تعرفين مكاني.»

وعندما دلفت ماريلين إلى فراشها في هذه الليلة ظلت مؤرقة لفترة طويلة. فإلى جانب ضوضاء السفن التي تمر بالنهر، وصوت المياه وهي ترتطم بجوانب السفينة. كان يمكنها بوضوح سماع جميع الحركات جارها في الحجرة المجاورة الذي بدا مؤرقاً بدوره.

وأخيراً غلبها النوم لتستيقظ بعد ساعات على صوت آلات السفينة وقد بدأت تعمل. وبعد دقائق بدأت السفينة في التحرك لتخرج من القناة التي ترسو بها إلى النهر لتبدأ رحلتها.

ولم تستطع ماريلين النوم بعد ذلك. فقفزت من فراشها وبعد أن اغتسلت



ارتدت ملابسها وصعدت إلى سطح السفينة. رأت في طريقها إلى السطح قائمة بأسماء المسافرين. فأخذت تبحث عن اسم جارها، وأخيراً وجدته... بلير بارون.

وعندما صعدت إلى السطح وجدت بارون قد سبقها إليه ووقف يتحدث في ألفة مع قائد السفينة.

والتفت بارون إلى الخلف ولما رآها هز رأسه محيياً واتجه ناحيتها. ولكنها حاولت الابتعاد عنه فاستوقفها صوته قائلاً:

«كنت مؤرقة ليلة أمس يا آنسة ميلاند. ألم يكن الفراش مريحاً؟»

فردت عليه في تحفظ:

«كان الفراش مريحاً تماماً. وآسفة إذا كنت قد ضايقتك.»

«إنك لم تضايقيني. فقد كنت مؤرقاً بدوري.»

ثم ابتسم وهو يضيف:

«إنك تتحدثين في نومك. هل تعرفين ذلك؟»

فتوردت وجنتاها وردت قائلة:

«آسفة لذلك أيضاً. ومادمنا سنظل متجاورين طوال هذه الرحلة، فأعتقد أنه من الأفضل لك أن تكتم فمي كل ليلة قبل أن آوي إلى الفراش.»

فانطلق بارون ضاحكاً وهو يقول:

«إن هذا يبدو حلاً عنيفاً، ولكنني لن ألجأ إليه إلا إذا بدأت في الشجار مع نفسك كما يحلو لك أن تفعل معي.»

ثم أضاف وهو ينظر إليها بإمعان:

«أو ربما أقف بجوار فراشك وأستمع إلى ما تقولين. فربما أمكنني معرفة الكثير من أسرارك.»

فابتسمت ماريلين قائلة:

«كنت مؤرقاً بدورك.»

«كنت قلقاً كما أخبرتك من قبل.»

ثم ابتسم بخبث وهو يضيف قائلاً:

وإذا ساءت الأمور فيجب أن نبحث عن طريقة لتحطيم الحاجز الذي يفصل بيننا، ربما أمكننا أن نستريح معاً.»

وتجاهلت «مارلين» تماماً قوله، وشعرت بالاضطراب الشديد لمجرد تفكيرها في أن يكون هذا الرجل بكل جاذبيته رفيقاً لها. وتخشى أن يبدو في لهجتها ما قد يشجعه على التمادي في اللعب بعواطفها.

وبعد ذلك تركها «بارون» وهبط إلى أسفل، ثم عاد بعد قليل يحمل قدحين من الشاي قدم أحدهما إليها قائلاً:

«مع تحيات إدارة السفينة.»

ووقفا معاً يتناولان الشاي وينظران إلى المناظر الطبيعية الجميلة حولها.

فقالت «مارلين»:

«إن الأرض تبدو منبسطة تماماً هنا. أليس كذلك؟»

«إنها «هولندا» فهل تتوقعين غير ذلك؟»

وأخذ «بارون» يشرح لها كيف أن معظم الأراضي الهولندية تقع تحت مستوى البحر، وكيف أن جميع القنوات تخضع لرقابة شديدة للتحكم في مستوى الماء بها حتى لا تتعرض للفيضانات الخطرة.

فنظرت إليه «مارلين» قائلة:

«يبدو أنك تعرف الكثير عن «هولندا». هل زرت هذه المنطقة من قبل؟»

«لقد كان والدي هولندياً.»

«ولكن هل عشت في هولندا؟»

«بالطبع لعدة سنوات، ومازلت أحتفظ بمنزلي بها.»

«ولكنك تتحدث الانكليزية بطلاقة كما لو كنت انكليزياً حقاً؟»

«إن هذا ليس عجيباً لأن أمي إنكليزية. وبعد وفاة والدي في العام الماضي عادت إلى موطنها.»

«ولكن... ولكن اسمك ليس هولندياً. أليس كذلك؟»

وبدا على «بارون» وكأن شيئاً في سؤالها أغضبه. فالتفت إليها وأوشك أن



يقول شيئاً ثم عدل عن موقفه، وبعد فترة من الصمت قال:

«هذا لقب أمي قبل الزواج.»

فقالت «مارلين»:

«إنني آسفة لكل هذه الأسئلة فهذا بالطبع ليس من شأني.»

فرد «بارون» في اقتضاب:

«لا... ليس من شأنك.»

وتركها ومضى.

# ٢ ـ جلسة لم تكتمل

عندما غادرت مارلين مائدة الافطار تبعها سيلاس هادلي وفي طريقهما إلى خارج صالة الطعام مرا بالمائدة التي يجلس إليها بلير بارون فهز سيلاس رأسه بالتحية ورد عليه بلير بالمثل بدون أن يلتفت إليها وشعرت مارلين بنوع من الاستياء إذ اعتقدت أنه إهمال متعمد من جانب بلير تجاهها وكان سيلاس يلازمها معظم الوقت معتقداً أنه من الطبيعي أن يسعى إلى صحبة مارلين مادام كل منهما بدون رفيق.

ووجدت مارلين نفسها رغماً عنها تفكر في بلير بارون وهي تتعجب لماذا يسافر مثل هذا الشخص بمفرده.. هي تعرف أنه غير متزوج، ولكن من المؤكد أن في حياته امرأة. وإذا كان الأمر كذلك فهل العلاقة بينهما إلى هذا الحد من الفتور ليتركها طوال مدة رحلته! وشعرت مارلين بنوع من الضيق وهي تفكر في أن بلير قد تكون له خطيبة. وأخيراً انتزعت نفسها من أفكارها وأخذت تتجول فوق سطح السفينة.

وكانت السفينة قد غادرت مرساها واتخذت طريقها فوق مياه الراين وفي مساء ذلك اليوم رست في ميناء أرنهم.

وبعد العشاء غادرت مارلين السفينة برفقة سيلاس حيث أخذا يتجولان في أنحاء المدينة. ورغم أن الظلام كان بدأ يحل فإن سيلاس لم يتوقف لحظة عن التقاط الصور.

وعند عودتهما رأت مارلين، وهما يقتربان من السفينة، بلير بارون يقف خلف زجاج الردهة يراقبهما واضعاً يديه في جيبه.



وصعدت إلى ظهر السفينة وتوجهت إلى الردهة مع سيلاس الذي استأذنها في إحضار شراب لها. وشعرت مارلين بالغيظ وهي ترى وجه بلير بارون وقد علته ابتسامة ساخرة خفيفة. ناظراً إليهما. بأي حق ينظر إليهما بهذه الطريقة؟ وبمثل هذا الاستهزاء؟!

وبعد أن قدم سيلاس إليها الكأس، استأذنها للتحدث مع أحد المسافرين. فشعرت مارلين بنوع من الارتياح، لأنها كانت تود الانفراد بنفسها. ولكن وحدتها لم تطل اذ تقدمت سيدة متوسطة العمر لتجلس إلى جوارها وقدمت إليها نفسها باسم السيدة جيس لو.

وبادرتها السيدة بقولها:

«أعتقد أننا نأتي من منطقة واحدة يا آنسة ميلاند، منطقة هامبشاير أليس كذلك؟ إن هذا السيد بارون الذي يجلس هناك أبلغني ذلك.»

والتفتت مارلين تنظر بدهشة إلى بلير بارون وما أن التقت نظراتهما حتى رفع يده بكأسه.

وتسارعت دقات قلب مارلين وهي لاتدري ماذا دهاها، ولماذا تؤثر فيها نظرات هذا الرجل إلى هذا الحد. إنها لا تعرف عنه شيئاً سوى أنه يخفي خلف هذا المظهر الهادئ، قوة بدنية هائلة أحست بها عندما احتضنها بذراعيه ليمنعها من السقوط فوق الدرج. وأخذت تسائل نفسها كيف عرف أنها تقيم في هامشاير. هل هو خبير خاص؟

وأدارت مارلين رأسها وهي تجيب السيدة لو قائلة:

«نعم.. إن والديّ يقيمان في شيفيلد ولكنني أقيم في ونشستر حيث أعمل.

هل تقيمين في البلدة نفسها؟»

«أقيم في ساوث هامبتون وقد توفي زوجي ولذلك أشعر بالوحدة في بعض الأحيان. وهذه الرحلة ستكون فرصة طيبة للالتقاء بأناس كثيرين. والآن حدثيني عن نفسك.»

فردت مارلين بأنها تعمل مدرسة موسيقى في إحدى المدارس الثانوية. فظهر الاهتمام على وجه السيدة لو التي قالت إنها تحب الموسيقى، وسألتها

إن كانت تعرف على أية آلة موسيقية.

وفي هذه اللحظة مرّ بلير بارون بجانب السيدة لو التي هزت رأسها له بالتحية، ولدهشة مارلين جلس على أحد المقاعد القريبة منها. وفكرت مارلين في أنه ربما يود الاستماع إلى حديثهما.

ونظرت السيدة لو إلى مارلين منتظرة إجابتها على السؤال. فردت مارلين بصوت منخفض حتى لايسمعها بارون بأنها تعزف على البيانو، وأنها تغني في بعض الأحيان إذ أنها تخرجت من الأكاديمية الموسيقية في لندن.

وبدا الاهتمام الشديد على السيدة لو التي سألتها إن كانت تشترك في بعض الحفلات الموسيقية.

ولكن مارلين أجابت بالنفي لأنها فضلت العمل كمدرسة.

فأضافت السيدة لو:

«لو أنك احترفت الغناء لكنت مغنية فاتنة».

واستطردت تسأل:

«هل أنت مرتبطة بأحد الشبان»

فردت مارلين بالإيجاب وهي تقول:

«نعم ويدعى دوغلاس نيوسوم من أعز أصدقائي وهو يعمل معي مدرساً للموسيقى أيضاً».

وتعجبت مارلين من نفسها وهي تتحدث عن دوغلاس بهذه الطريقة وتبالغ في العلاقة بينهما، ولكنها في قرارة نفسها كانت تعرف الاجابة على ذلك. كانت تريد بلير بارون أن يستمع إلى حديثها وأن يتوهم أنها مرتبطة عاطفياً حتى يتوقف عن النظر إليها بهذه الطريقة الساخرة، وكأنها طراز من الفتيات يسعى إلى الايقاع بأي رجل.

وتمادت مارلين في كذبها فقالت محدثة السيدة لو:

«إننا ننوي الزواج قريباً».

وأخذت السيدة لو تسأل مارلين عن المزيد من التفاصيل بشأن دوغلاس. ووجدت نفسها تندفع في اختلاق المزيد من الأكاذيب، فقالت إنها



اضطرت للقيام بهذه الرحلة بمفردها لأن دوغلاس الذي يعزف على الكمان يقوم برحلة موسيقية مع الفرقة التي يعمل معها.

وعندما سألتها السيدة لو عن اسم هذه الفرقة تلعثمت، وسمعت صوت بلير بارون يسأل:

«هل هي فرقة أوركسترا أمستردام؟»

فالتفتت إلى الخلف ورمقته بنظرة قاسية، ثم عادت إلى السيدة لو قائلة إنها فرقة غير معروفة كثيراً.

وتنبهت مارلين إلى نفسها وقد اندفعت في اختلاق القصص والأكاذيب، فالتفتت ناحية سيلاس الذي كان منهمكاً في الحديث مع أحد الأشخاص وعندما رآها تنظر إليه ابتسم مشيراً بأنه سيلحق بها بعد قليل.

ونظرت مارلين اتجاه بلير بارون الذي بدا وكأنه لاحظ ما دار بينها وبين سيلاس. فنظرت إليه بتحد واضح، ولكنه لم يعلق بشيء بل اكتفى بالابتسام والنظر من جديد إلى الصحيفة التي بيده.

واعتقدت السيدة لو أن مارلين تبحث عن شيء معين فانبرت تسألها:

«هل تبحثين عن شيء لقراءته»

وأشارت إلى المكتبة الموجودة بالردهة قائلة:

«لا توجد فيها حالياً أية كتب».

فعلقت مارلين بقولها:

«معظم الكتب الموجودة باللغة الهولندية أو الفرنسية، والكتب الانكليزية معظمها من النوع البوليسي».

فردت السيدة لو ضاحكة:

«كان من المفروض وجود بعض القصص العاطفية التي تفضل النساء قراءتها».

والتفتت وهي تقول ذلك ناحية بلير بارون تسأله إذا كان يوافقها في هذا الرأي، ولكنه كان قد غادر مقعده متجهاً إلى الدرج.

وعبرت السفينة الحدود إلى ألمانيا في الصباح، وكان قد تم ختم جوازات السفر من المسافرين في المساء. ووقف الركاب فوق مؤخرة السفينة يشاهدون

الزورق الذي يستقله رجال الجمارك يقترب ليصعد الضابط المسؤول وقبل أن يصعد الضابط إلى ظهر السفينة نظر إلى أعلى وبدا وكأنه شاهد شخصاً يعرفه فرفع يده بالتحية.

ولدهشة مارلين رأت بلير بارون يرد تحية ضابط الجمرك ثم ينسحب بدون أن يلتفت إلى أحد ليهبط الدرج إلى داخل السفينة.

وحدثت مارلين نفسها بأن بلير بارون لا بد أنه قام بهذه الرحلة من قبل، وأنها ربما كانت على حق في اعتقادها السابق بأنه مخبر خاص، أو محقق يسعى إلى معرفة أسرار الناس.

وكان سيلاس مشغولاً بالتقاط الصور، فوقفت مارلين مع عدد من الركاب يشاهدون زورق الجمرك وهو يبتعد عن السفينة.

وظهر بلير بارون من جديد فوق سطح السفينة، وابتسم وهو يتجه إلى حيث تقف، وسألها وقد أطلت من عينيه نظرة ساخرة:

«هل تستمتعين بوقتك يا آنسة ميتلاند. من المؤسف أن الشمس لم تشرق، ولكن على الأقل لا يوجد مطر»

فردت مارلين قائلة:

«وهل من المعتاد أن تمطر السماء أثناء هذه الرحلات فوق الراين؟»

ونظر بارون إليها للحظة قبل أن ينفجر ضاحكاً وهو يقول:

«أنا لا أعرف ذلك حقاً يا آنسة ميتلاند»

«ولكن يبدو أنك تعرف ضابط الجمرك.»

«أجل أعرفه.»

وابتسم بارون وهو ينظر إليها في تحد، وكأنه على استعداد للاجابة على المزيد من أسئلتها. ولكنها أشاحت بوجهها عنه ونظرت إلى النهر.

واستند بلير إلى حافة السفينة، وقد كسا وجهه تعبير جاد وهو ينظر إلى ماحوله. ووقفت مارلين إلى جواره ترقب حركة السفن المستمرة وقد أثارت اهتمامها بوجه خاص الاكواخ النهرية التي تقيم بها أسر البحارة.

وانتبهت مارلين إلى صوت بلير يقول:



«إذا كان الأمر يهمك، فإنني أعرف الكثير عن نهر الراين.»

ثم أضاف في سخرية:

«ربما اعتبرت ذلك دليلاً آخر ضدي لأن سبب وجودي فوق هذه السفينة يحيرك، ولا أدري لماذا، وأياً كانت الأفكار التي تراودك فإنني لن أدع ذلك يفسد عليّ عطلتي التي أؤكد لك أنها السبب في وجودي هنا.»

واستطرد بلير يقول:

«لقد عرفت من قراءاتي الكثيرة أن نهر الراين من أكثر الأنهار ازدحاماً بالسفن في أنحاء العالم. فهو يربط بين ست دول أوروبية كما أنه يربط هذه الدول بالبحر. هل تعرفين ذلك؟»

ولما تأكد بلير أنها لا تعرف شيئاً عن النهر انبرى يحدثها بما يعرفه عنه، قائلاً إنه من الأفضل دائماً أن يعرف الشخص كل شيء عن المكان الذي سيذهب إليه حتى ولو كان لمجرد قضاء عطلة.

ووقفت مارلين ترقب بلير من طرف خفي وهو يقف بجانبها وقد بدا وجهه شاحباً وشعرت بأنه يخفي وراء هذه السخرية التي تبدو جلية في كل تصرفاته طبيعة حادة، وكان ذلك يبدو واضحاً في التقطيبة التي علت جبهته وهو يراقب حركة السفن.

وشعرت مارلين بالخوف وهي تسائل نفسها من يكون هذا الرجل. إنها لم تقابله سوى منذ يومين، ولكنها تشعر أنها تعرفه من أمد بعيد!

وبعد فترة قال بلير:

«إذا لم يكن حديثاً مملاً بالنسبة إليك، وإذا كنت تريدين معرفة المزيد فإنني على استعداد لتقديم خدماتي.»

وأخذت مارلين تسأل وبلير يجيبها، واستطرد الحديث بينهما إلى الأطفال الذين يقيمون في الاكواخ النهرية وعما إذا كانوا يذهبون إلى المدارس.

وفجأة سألته مارلين بطريقة حاولت أن تبدو بريئة بقدر الامكان:

«هل ذهبت إلى المدرسة في هولندا ياسيد بلير؟»

وضحك بلير بصوت عال قبل أن يرد قائلاً:

«ما هي مهنتك يا آنسة ميتلاند؟ هل أنت محامية متخفية تحاولين استدراجي بأسئلتك. بالطبع ذهبت إلى المدرسة في هولندا. لقد ولدت هناك. وبما أن والدتي إنكليزية فقد ذهبت ايضاً إلى المدرسة في إنكلترا... والآن هل تريدين معرفة المزيد عني. كم أبلغ من العمر... حالتي الاجتماعية... عدد النساء اللواتي أعرفهن مثلاً؟»

وشعرت مارلين بحرج بالغ فحاولت الانسحاب ولكن يده أوقفتها ثم قال بلير:

«ما دمنا نتحدث عن الجنسية، فهذا هو جواز سفرك. لقد سمحت لنفسي أن أسحبه من مجموعة الجوازات التي قدمت لضابط الجمرك، عندما صعد إلى ظهر السفينة.»

ومدت مارلين يدها باستياء فأخذت جواز سفرها وقد تملكها شعور بالغيظ. عرف عنها بلير الآن كل شيء، حتى سنوات عمرها الأربع والعشرين.

وقال لها بلير وهو يشير إلى جواز السفر:

«إنك أجمل بكثير من صورتك هنا.»

وبينما كان بلير يستعد للانصراف اقترب سيلاس منها، وقد تدلت آلته الفوتوغرافية من كتفه.

وقال سيلاس في صوت مرتفع مخاطباً مارلين:

«عزيزتي... كنت أراقبك وفجأة خطرت لي فكرة، إنني أبحث عن فتاة تعمل كنموذج لصوري الفوتوغرافية، وأعتقد أنك تملكين جميع المؤهلات اللازمة لمثل هذا العمل. فما رأيك؟»

ولفزعها الشديد وجدت مارلين نفسها تنظر إلى حيث يقف بلير مع الفتاة التي وضعت يدها على ذراعه في ود واضح. وتساءلت: ترى هل سمع ما قاله سيلاس... ولكن ماذا يهمها في ذلك، ولماذا تسعى إلى معرفة رد الفعل لديه بالنسبة إلى اقتراح سيلاس.

الا ان مارلين ردت بالموافقة بصوت تعمدت أن يسمعه بلير. فوجدته يلتفت نحوها وينظر إليها ملياً بدون أي تعبير، ثم انصرف من جديد إلى الحديث مع الفتاة.

وبدا سيلاس سعيداً بموافقتها على اقتراحه. وعلى مائدة الغداء، أبلغ



فيليس ريد وزوجته أن مارلين وافقت على العمل معه كنموذج.

ومد سيلاس يده فربت على يد مارلين الموضوعة فوق المائدة قائلاً:

«ستصل السفينة بعد ظهر اليوم إلى دوسلدورف وسنذهب معاً لشراء مايلزم من الملابس.»

فسألته مارلين في دهشة:

«ولماذا؟»

«لأنني أريدك أن تكوني في أبهى شكل وأنت تظهرين في صوري.»

«ولكنني لا أملك المال الكافي لذلك.»

«لاحاجة بك لذلك، فسأتولى بنفسي دفع ثمن كل شيء.»

«ولكنني لا أستطيع.»

«حسناً... إن الصحيفة التي أعمل بها ستتولى دفع هذه النفقات، ويمكنك الاحتفاظ بالثياب بعد ذلك.»

فسألته فيليس باهتمام:

«في أية صحيفة تعمل؟»

«إنها صحيفة محلية... لاأعتقد أنك سمعت بها، وهي تخصص إحدى صفحاتها لأخبار الأزياء.»

وقطبت مارلين جبينها وقالت:

«ولكنني لا أعرف إذا كنت أستطيع...»

ولكن سيلاس قاطعها قائلاً:

«من المؤكد أنك تستطيعين ياعزيزتي، لا أحد سيعرفك هنا، وأنت تعيشين في الجنوب، ولن يرى أحد من أصدقائك صورك.»

«ولكن والديّ يقيمان في شيفيلد.»

فأجابها سيلاس مؤكداً أن صحيفته ليست واسعة الانتشار ولا يصل توزيعها إلى هذه المنطقة.

وأخذت مارلين تنظر بخوف إلى الناحية التي يجلس فيها بلير بارون وتساءلت: ترى هل سمع حديثها؟ ولكنه بدا لها منشغلاً تماماً بالحديث مع الفتاة

التي كانت تنظر إليه بإعجاب شديد.

وعندما وصلت السفينة إلى دوسلدورف صحب سيلاس مارلين إلى سوق المدينة لشراء مايلزمها من الثياب.

فانتقى لها عدداً من الثياب الجميلة وثوباً للسباحة من قطعتين.

دفع سيلاس مبلغاً كبيراً ثمناً لما انتقاه لمارلين من ثياب.

وعندما احتجت مارلين لأنه دفع كل هذا المبلغ طمأنها إلى أن الصحيفة ستدفع جميع هذه التكاليف. ولكنها كانت تشعر أنها تورّطت مع سيلاس في مشروعه إلى الدرجة التي لم يعد بإمكانها الرجوع فيها.

وعندما عادت مارلين وسيلاس كان بلير بارون يتحدث إلى قائد السفينة. وحين رآها تدخل مع سيلاس محملين بهذا القدر من البضائع علت شفتيه ابتسامة ساخرة.

وعندما مرت به مارلين رمقته بنظرة نارية واتجهت إلى باب حجرتها فدخلت وتبعها سيلاس الذي قال وهو يلقي بالمشتريات فوق الفراش:

«أعتقد ان الوقت متأخر الآن لالتقاط بعض الصور»

ومد سيلاس يده ووضعها على كتف مارلين وهو يقول:

«كان لطيفاً منك أن تساعديني ياعزيزتي.»

فقالت مارلين ضاحكة:

«وماذا كنت ستفعل إذا أنا رفضت العمل معك؟»

«كنت أبادلك الحب.»

قال سيلاس ذلك وهو يبتسم وعانقها على غير توقع.

وفي هذه اللحظة سمعت مارلين صوت أقدام تمر أمام باب الحجرة المفتوح ثم سمعت صوت باب الحجرة المجاورة وهو يغلق. فابتعدت مسرعة عن سيلاس وهي تشعر بالاستياء لأن بلير بارون شاهد سيلاس وهو يعانقها.

وبعد أن تركها سيلاس ومضى أخذت تحدق في الجدار الذي يفصلها عن بلير بارون وهي تسائل نفسها: ماذا يظن بها الآن؟



وبعد العشاء جاءت السيدة لو لتجلس إلى جانبها في البهو. ونظرت إلى المكتبة وقد امتلأت بالكتب وصاحت:

«هل رأيت كل هذه الكتب، إن أكثر من نصفها باللغة الانكليزية . كما توجد أيضاً قصص عاطفية. أعتقد أن أحدهم سمعنا ونحن نتحدث في هذا الأمر من قبل.»

واتجهت أفكار مارلين إلى بلير بارون. لا بدّ أنه سمعهما وهما تتحدثان في المرة السابقة عن الكتب والصحف.

واتجهت لاحضار إحدى الصحف الانكليزية وكانت في شوق لمعرفة أخبار وطنها. وأخذت تتصفح العناوين الرئيسية وبينما هي كذلك سمعت صوت بلير بارون خلفها يقول:

«هل تشعرين بحنين إلى الوطن؟ لا بدّ أنك تفتقدين وطنك كثيراً يا آنسة ميتلاند. أو ربما هذا الحنين لأن خطيبك موجود هناك.»

والتفتت مارلين إلى الخلف فالتقت عيناها بعينيه الزرقاوين الساخرتين فتأكدت أنه سمع كل حديثها مع السيدة لو.

ونظرت إليه في نوع من التحدي قائلة:

«ربما تكون على حق ياسيد بارون. فإن الانسان عندما يكون بعيداً عمن يحب يبحث عن أي شيء يمكن أن يقربه منه. أليس كذلك؟ ومن المؤكد لديك فتاة تحبها أيضاً وتنتظرك في هولندا أو ربما في انكلترا.»

وظهر الشك في عيني بلير وهو يجيب:

«هل هذا سؤال آخر من أسئلتك التي تريدين بها حثيّ على الاعتراف ياآنسة ميتلاند، هل تريدين مني اعترافاً كاملاً بجرائمي وأسراري وحياتي الخاصة؟»

واستاءت مارلين من اللهجة الساخرة التي تحدث بها بلير، وودت لو أنها سألته: لماذا يتشاجران كلّما اجتمعا. وعما إذا كان من الممكن أن يعلنا الهدنة بينهما أثناء الفترة المتبقية من الرحلة. ولكنها لم تقل شيئاً. وأقنعت نفسها بأن الأمر لايستلزم كل هذا الاهتمام، فإنهما سيفترقان بعد أسبوعين، وربما لن يلتقيا بعد ذلك أبداً. وقد آلمتها هذه الفكرة وإن حاولت إنكار هذا الشعور الجديد.

وأخيراً قالت:

«أرجو أن تعذر وقاحتي ياسيد بارون.كنت أحاول فقط أن نكون صديقين، ولكن يبدو أنك لست كغيرك من المسافرين لاتفهم معنى الصداقة.»

ووضع بلير الصحيفة التي كان يمسك بها وأمسك بمرفقها وهو يقول:

«إنني أعتبر هذا القول تحدياً لي ياآنسة ميتلاند، وأود لو أثبت لك كيف يمكنني أن أكون صديقاً مثل أي رجل آخر فوق ظهر السفينة.»

وأدركت مارلين على الفور أنه يشير بقوله هذا إلى صداقتها بسيلاس وسادها ذلك وحاولت الابتعاد عنه، ولكنه أمسك بذراعها وقادها تجاه المقصف حيث جلسا معاً بعد أن تحدث إلى الساقي باللغة الهولندية طالباً كأسين من الشراب.

والتفت إليها فشعرت مارلين وكأنها توشك أن تفقد قدرتها على مقاومة جاذبيته وأخذت تشرب كأسها. وشعرت بغصة في حلقها فسعلت فامتدت يد بلير لتربت بشدة على ظهرها لمساعدتها، وآلمتها يده فوجدت نفسها تسأله:

«هل كان من الضروري أن تربت على ظهري بمثل هذه الخشونة؟»

فرد بلير قائلاً:

«ربما كان ذلك ضرورياً في بعض الحالات، آسف إذا كنت آلمتك.»

«لا... إنك لم تسبب لي أي ألم.»

وضحك بلير وانتظر قليلاً حتى استعادت أنفاسها ثم قال:

«والآن... كيف أبدأ أولى خطوات صداقتي معك، هل أقدم لك سيكارة... ولكنني لا أدخن.»

«لا... شكراً، إنني لا أدخن كذلك.»

وأمسك بلير بذقنه مفكراً ثم قال:

«حسناً... مارأيك في الحديث عن الموسيقى، فأنا أحب الموسيقى وأنت كما أعرف مدرسة موسيقى وتعزفين على البيانو كما أن لك صديقاً...»

ولم تدعه مارلين يكمل حديثه فقاطعته قائلة:

«نعم، إنني أعمل مدرسة للموسيقى. وأنت تعرف ذلك لأنك كنت تسترق السمع



وأنا أتحدث مع السيدة لي.»

«سمعت ياآنسة ميتلاند ولم أسترق السمع، تذكري أننا نحاول أن نكون صديقين.»

وحاولت مارلين الاعتذار بأنها لم تقصد توجيه أي اتهام إليه.

ومد بلير يده فلمس كتفها العارية وهو يقول:

«لابأس...»

وشعرت مارلين بكتفها تلتهب تحت ملمس يده، ونظرت إلى كأسها وهي تسأله:

«هل تحضر الحفلات الموسيقية التي تقيمها أوركسترا أمستردام؟»

«أحياناً عندما أكون في أمستردام.»

وسألها اذا شاهدت إحدى هذه الحفلات قائلاً، إنه يمكنها الحضور إلى أمستردام بالطائرة في وقت قصير للغاية.

فردت قائلة:

«أعرف ذلك ولكن حالتي المالية وأحوال عملي تمنعني من ذلك.»

وبعد فترة من الصمت سألته مارلين:

«هل تقضي معظم وقتك في أمستردام؟»

«من الطبيعي أن أقضي معظم وقتي فيها. فقد ولدت في هولندا. كما أن لي منزلاً في أمستردام.»

«يبدو أنك تتنقل بحرية وكما تشاء. أليس هناك أية قيود تمنعك من ذلك؟»

وانطلق بلير يضحك وهو يقول:

«مازلت تقومين بدور المحقق ياآنسة ميتلاند»

وصمتت مارلين وهي تتعجب من نفسها، لماذا تريد معرفة كل شيء عن هذا الرجل. كانت تعرف في قرارة نفسها الجواب ولكنها كانت لا تريد الاعتراف به.

واستطرد بلير قائلاً:

«إنني رجل أعمال، ويضطرني عملي للتنقل بين مناطق كثيرة في أوروبا.»

وفي هذه اللحظة تقدم سيلاس من مارلين ووضع يده حول كتفها وهو

يطلب منها في صوت مترنح أن تصعد معه إلى سطح السفينة ليستنشقا الهواء معاً.

وتحرك بلير مبتعداً، فنادته مارلين في محاولة لاستبقائه، ولكن الفتاة جارته في المائدة أسرعت إليه وأمسكت بيده مداعبة وهي تقول:

«تعال يابلير لنتحدث مع والدي.»

فابتسم بلير للفتاة وقبل أن يمضي معها التفت إلى مارلين وانحنى لها قائلاً في لهجة جادة:

«أرجو المعذرة ياآنسة ميشلاند.»

ثم ألقى بنظرة ساخرة إلى سيلاس وهو يضيف:

«إنني أتركك في يد أمينة.»

ثم التفت إلى الفتاة قائلاً:

«هيا بنا يا شارون.»

وشعرت مارلين بالغضب وهي ترى الكلفة وقد رفعت بين الفتاة التي لم تبلغ العشرين من عمرها، وبين بلير إلى هذا الحد الذي يسمح لها أن تناديه باسمه الأول.

وعندما صعدت مارلين إلى سطح السفينة كان الهواء بارداً فوقفت ترتعش إلى جانب سيلاس الذي أحاط كتفها بذراعه، وكان يتنفس بعمق وقد بدا عليه أنه أفرط في الشراب، فسألته مارلين وهي تشعر بثقل ذراعه فوق كتفها:

«هل أنت معتاد على الافراط في الشراب؟»

«لست في حالة تسمح لي بسماع مثل هذا الكلام... تعالي لنجلس. إنك لم تشكريني حتى على الثياب الجميلة التي ابتعتها لك.»

وشعرت مارلين بقلبها يهوي وهي تسائل نفسها: هل يعتقد أنه امتلكها بهذه الثياب. فردت عليه بحدة:

«لقد ابتعت لي هذه الثياب لتخدم مصلحتك الشخصية، وعندما أرتديها لأظهر بها في صورك سأشكرك.»

فرد سيلاس باستياء:



«هل أنت من هذا النوع من الفتيات... كنت أعتقد أنه ربما...»

ولم تدعه مارلين يكمل حديثه فوقفت قائلة:

«الجو بارد هنا... تصبح على خير.»

وفي طريقها إلى أسفل لمحت مارلين بلير بارون يجلس في البهو مع شارون ووالديها، فاتجهت إلى حجرتها وهي لا تدري ماذا تفعل. الوقت كان مازال مبكراً، فقررت انتهاز فرصة انشغال المسافرين بالسمر وجمعت حاجياتها واتجهت إلى إحدى غرف الاستحمام القريبة، وبعد أن اغتسلت اتجهت من جديد إلى حجرتها. وبينما كانت مارلين تقف أما الباب، رأت بلير بارون وهو يهبط الدرج، وعندما رآها ناداها فتظاهرت بعدم سماعه وحاولت الدخول بسرعة إلى حجرتها قبل أن يصل إليها.

ولكنها لم تتمكن من ذلك فقد سقطت منها الحقيبة الصغيرة التي تضع بها لوازم الاستحمام وتناثرت محتوياتها فانحنت تجمعها في ارتباك.

ولكن بلير كان قد سبقها إلى ذلك، ونظر إليها مبتسماً وهو يقول:

«هل استمتعت بحمامك، ان رائحة عطرك جميلة.»

«شكراً على مساعدتك إياي، وتصبح على خير.»

فوضع بلير يده على كتفها ليمنعها من الذهاب قائلاً:

«الوقت مازال مبكراً، وكنت آمل أن تمضي بعض الوقت معي، كنت على وشك أن أطلب منك ذلك عندما قاطعنا سيلاس. عندي في حجرتي مسجل ولدي بعض تسجيلات أوركسترا أمستردام، أعتقد أنك تحبين سماعها... تعالي معي.»

ولكن مارلين اعترضت لأنها كانت ترتدي ثياب خفيفة فضحك بلير قائلاً:

«ربما كان هذا أفضل.»

فاعتذرت مارلين بجفاء عن قبول دعوته ودخلت إلى حجرتها ولكن بلير تبعها واستوقفها قائلاً:

«معذرة... ربما كنت متسرعاً ولكنني أؤكد لك أنني لا أقصد شيئاً، وليس من عادتي الجري وراء النساء لاغوائهن.»

ثم أردف مبتسماً:

«إلا إذا وجدت تشجيعاً منهن... وأنا لا أتوقع ذلك منك.»

وشعرت مارلين بالحرج، وشكرته على دعوته إياها، وتوجهت معه إلى حجرته التي كانت أكبر حجماً من حجرتها وقد ألحقت بها غرفة للاستحمام.

وكانت جدران الحجرة مغطاة بعدد من الصور الشخصية، كما امتلأت الطاولة بعدد من الملفات والأوراق مما جعل مارلين تتساءل من جديد عمن يكون هذا الرجل.

ولمحت مارلين جواز سفر ملقى فوق الفراش بإهمال وكان مفتوحاً وعرفت منه أن بلير بارون يعمل مديراً لاحدى الشركات وأنه ولد في أمستردام وأنه يبلغ من العمر خمساً وثلاثين سنة.

وفجأة امتدت يد بلير بغضب لتختطف جواز السفر وسمعته يقول بحدة:

«أمازلت تقومين بتحرياتك عني يا آنسة ميتلاند؟ أنت تعرفين الآن وظيفتي وسني، هل هناك شيء آخر أمكنك معرفته عني وبديتني في نظرك؟ هل تعتقدين مثلاً أنني مجرم متنكر؟»

وهزت مارلين رأسها في يأس وقد تولاها شعور بالخجل وهي تقول:

«إنني آسفة لذلك، وسأذهب الآن إذا كنت ترغب في ذلك.»

وامتدت يدها لتفتح الباب، ولكن بلير استوقفها قائلاً بلهجة سريعة:

«لا...لا أجلسي على الفراش، لأنني سأضع سماعة المسجل على المقعد.»

وجلست مارلين على الفراش تستمع إلى الموسيقى وكانت إحدى مقطوعات تشايكوفسكي تعزفها أوركسترا أمستردام واستغرقت مارلين تماماً في الاستماع بالموسيقى التي انساب صوتها حالماً ليملأ المكان، حتى أنها نسيت تماماً أنها تجلس فوق فراش رجل غريب عنها بثياب نومها. ووقف بلير أمام النافذة واضعاً يديه وراء ظهره ينصت إلى الموسيقى سارحاً بنظره بعيداً. مضى الوقت ولم تلاحظ مارلين أن بلير ترك النافذة حيث كان يقف ليجلس بجوارها على الفراش باسترخاء.

فجأة تنبهت إلى وجوده بجانبها، فالتفتت إليه ففوجئت به وهو يمعن النظر إليها



بطريقة أثارت مشاعرها وجعلت الدماء تندفع إلى وجهها، وشعرت في هذه اللحظة أنها لا تستطيع مقاومة هذه الابتسامة الساحرة التي ارتسمت على شفتيه، فابتسمت له في خجل وأشاحت بوجهها عنه سريعاً.

وأخيراً توقفت الموسيقى وساد المكان السكون وبعد لحظة وقف بلير وأخذ ينظر إليها ملياً ثم سمعته يهمس باسمها بطريقة حالمة، ولما رفعت نظرها إليه سألها بصوت هادئ:

«هل استمتعت بالموسيقى؟»

واكتفت بهز رأسها بالايجاب، فلم يكن بمقدورها في هذه اللحظة أن تعبر له بالحديث عن مدى سعادتها بسماع هذه الموسيقى الجميلة وخاصة وهي بصحبته.

وشعرت مارلين في هذه اللحظة أنه أصبح هناك نوع من التفاهم بينها وبين بلير، وأن حبهما المشترك للموسيقى سيخفف من روح التحدي التي تسود بينهما كلما التقيا.

وأمسك بلير بيدها ليساعدها على الوقوف، والتقت نظراتهما وأخذ يقربها منه وبدأت تشعر بأنفاسه تلفح وجهها واقترب بشفتيه من وجهها وهو يهمس قائلاً:

«مارلين إنني...»

وأفاقت مارلين فجأة... لابد أنها شجعته على أن يفعل ذلك معها بعدم صدها له، فانتزعت يدها من يده وهي تقول بحدة:

«إنني عادة أقول شكراً باللفظ وليس بهذه الطريقة.»

وأسرعت متجهة إلى الباب. وبدا بلير وقد تملكه الغضب ووضع يده في جيبه ونظر إليها قائلاً:

«إنك تبالغين في انفعالك يا آنسة ميتلاند. وقد صور لك خيالك أشياء كثيرة. أريد أن أقول لك إنني لست في حاجة لأن أفرض عواطفي على أية امرأة، فإن حالتي الاجتماعية والمالية تسمح لي بلقاء الكثير من النساء اللواتي يرغبن في مبادلتي العاطفة.»

ثم استطرد في غضب:

«وليس هناك أيضاً مايدفعني لاستجداء عاطفة أية امرأة أو سلب إرادتها وإغرائها بالأضواء الخافتة والموسيقى الحالمة. ولهذا يا آنسة ميتلاند اطمئني إلى أنني لن أجبرك على مبادلتي العاطفة مالم تطلبي أنت مني ذلك.»

ولم تحاول مارلين الرد عليه أو الاعتذار واكتفت بأن شكرته بصوت هادىء على دعوتها لسماع الموسيقى وهي تقول:

«قد لاتصدقني إذا قلت لك إنني أقدر دعوتك لي فعلاً.»

ووقف بلير في مكانه بدون أي حراك. واكتفى بالانحناء لها وهي تودعه ثم أدار لها ظهره سريعاً.



# ٣ ـ وخز الدبابيس

استيقظت مارلين صباح اليوم التالي ووقفت تنظر من النافذة. كانت الشمس مشرقة وقد خلت السماء من السحب لأول مرة منذ بدء الرحلة. فشعرت مارلين بالانتعاش والسعادة وهي تنظر إلى أشعة الشمس تنعكس على صفحة الماء.

وعندما اتجهت إلى صالة الطعام لتتناول الافطار كان الجميع مستبشرين بيوم مشرق جميل وقد ارتدوا ملابس صيفية خفيفة.

ونظر سيلاس إلى باميلا ومارلين وهو يجلس إلى المائدة وكانتا تضعان ثياباً صيفية خفيفة، وتفوه ببعض عبارات الاطراء، فردت باميلا ضاحكة:

«إن مثل هذه الملابس تظهر بدانتي. أما مارلين...»

فقطب زوجها قائلاً:

«إنك في حاجة إلى نظام قاس في الغذاء لتصبحي في مثل قوام مارلين.»

وأضاف سيلاس قائلاً:

«كما أن الثياب التي ابتعتها لها... أقصد التي ابتاعتها الصحيفة التي أعمل بها لتظهر بها في الصور ستضيف المزيد من الجمال إلى هذا القوام.»

ثم نظر سيلاس من النافذة وصاح قائلاً:

«هذا هو اليوم الذي ننتظره ياعزيزتي، وأرجو أن تكوني على استعداد لبدء

العمل.»

ثم أردف قائلاً:

«ولكن المشكلة الوحيدة هي كيف نحاول إبعاد المسافرين الذين قد يتجمعون حولنا كما هو الحال دائماً، إن مثل هذا الأمر يسبب حرجاً للعارضة والمصور على السواء، وأنا لا أحب أن يلتف حولي الناس وأنا أقوم بعملي.»

فانبرى غيليس قائلاً:

«السفينة سترسو اليوم في بون وسينزل الجميع إلى الشاطىء للتجول في المدينة، وهكذا تكون الفرصة مناسبة لك و لمارلين لالتقاط ما تشاءان من الصور.»

فمدّ سيلاس يده مصافحاً غيليس قائلاً:

«إن هذه أحسن فكرة سمعتها منذ سنين.»

وعندما وصلت السفينة إلى بون كان الوقت ظهراً واستعد سيلاس لالتقاط الصور وطلب منها أن ترتدي الطقم الصيفي الجديد الذي يتكون من صدرية حمراء اللون وسروال قصير مناسب... ووضعت مارلين وشاحاً التف حول عنقها في إهمال كما ارتدت حزاماً عريضاً.

وبدت مارلين كإحدى فتيات الغجر بعينيها الواسعتين الرماديتين، وفمها الكبير، وشعرها الأسود الطويل، المتطاير على كتفيها، والقرط المستدير الكبير الذي تدلّ من أذنيها.

وعندما غادرت مارلين حجرتها متجهة إلى سطح السفينة اتجهت الأنظار إليها ترمقها في إعجاب مما جعلها تشعر بالحرج.

وحاولت التغلب على شعورها بأن استغرقت في مشاهدة السفن التي ازدحم بها النهر وهي تسائل نفسها عن السبب الذي دفعها إلى قبول العمل مع سيلاس، وكانت على يقين من أن قبولها هذا العمل لم يكن من أجل الحصول على كل هذه الثياب التي لاتتناسب مع شخصيتها.

ولاحظت مارلين أن سيلاس استغرق وقتاً طويلاً في إعداد آلة التصوير، ولكن يبدو أنه كان يفعل ذلك متعمداً، إذ أن الركاب سئموا الانتظار



فأخذوا ينفضون من حوله تباعاً.

وأخيراً قالَ سيلاس:

«الآن يمكننا البدء في العمل.»

ثم قال مشيراً إلى حافة السفينة:

«أريدك ياعزيزتي أن تجلسي هنا.»

واعتلت مارلين الحافة الخشبية العريضة وأخذ سيلاس يساعدها على الجلوس في الوضع الذي يريده، وكانت تشعر بالضيق ويداه تتحركان بحرية فوق ساقيها وذراعيها العارية.

وبعد أن اطمأن سيلاس إلى الوضع الذي يريده، التقط لها بعض الصور، ثم طلب منها تبديل ثيابها لتضع ثوب السباحة ذا القطعتين.

وتسللت مارلين من حجرتها وقد ارتدت ثوب السباحة وكانت ملفتة للأنظار إلى درجة كبيرة وأخذت تتلفت حولها في خوف ولما اطمأنت إلى خلو الممر أسرعت تصعد الدرج إلى أعلى.

وما أن رآها سيلاس حتى انطلقت من فمه صيحة استحسان وتوجه إليها فاتحاً ذراعيه ولكن مارلين ابتعدت عنه قائلة:

«أرجوك ياسيلاس دعنا ننتهي سريعاً فإنني أشعر بحرج شديد، ليتني لم أوافق.»

وفوجئت مارلين بصوت يقول:

«يمكنك التراجع ياآنسة ميتلاند.»

والتفتت مارلين إلى الخلف لترى بلير بارون وعلى شفتيه ابتسامته الساخرة وهو يرمقها بإعجاب.

وشعرت مارلين بارتباك شديد وهي ترى نظرات بلير تتفحص كل جزء من جسمها بإمعان وقد اتسعت ابتسامته بعد أن لاحظ ارتباكها.

وقال سيلاس:

«لايمكنك التراجع الآن، تعالي واجلسي فوق هذا المقعد لتظهري جمال ساقيك الطويلتين.»

وأطلق سيلاس صيحة إعجاب وهو ينظر إلى مارلين وقد اتخذت الوضع الذي يريده فقال:

«والآن لاتنظري حولك وانسي تماماً وجود أي شخص على سطح السفينة. احتفظي بهذا الوضع الجميل.»

وبعد أن التقط سيلاس صورتها في هذا الوضع طلب منها أن تسترخي قليلاً حتى يعد آلة التصوير من جديد.

وتقدم بلير منها في تكاسل. فشعرت مارلين بالسخونة تحت وطأة نظراته الجريئة. وتمنت لو اختفت وراء المقعد. ولكن روح التحدي تملكتها من جديد فجلست في مكانها ساكنة وهي تنظر إليه في تحد واضح.

ووقف بلير أمامها وظهره إلى سيلاس وقال بصوت منخفض:

«هل بهذا المسلك تشقين طريقك يا آنسة ميتلاند؟ هل تشعر مدرسة الموسيقى الصغيرة بالحاجة الملحة إلى المال لتبيع نفسها في سبيل تغطية نفقات الرحلة. إنه حقاً ثمن باهظ لهذه الرحلة.»

وانتاب مارلين الغضب وردت في صوت هامس حتى لا يسمعها سيلاس:

«أنا أبيع نفسي بعملي كنموذج!»

«وأنت شبه عارية!»

قال بلير ذلك وعيناه مثبتتان فوق جسمها. فنظرت مارلين إليه في لوعة قائلة:

«إنني أرتدي ماترتديه أية فتاة على الشاطئ، أو في حمام السباحة.»

«حقاً ما تقولين، ولكن أية فتاة لاتجلس هكذا لالتقاط صورها في مقابل الحصول على بعض المال.»

«إنك تتحدث عن عملي هذا وكأنه شيء غير خلقي.»

فهز بلير كتفيه قائلاً:

«هذا أمر لايهم في هذه الأيام طالما تشعرين أنك سعيدة، في أي حال من أكون يا آنسة ميتلاند لأقول ذلك. إنني لست سوى رجل يمكنه أن يقدر تماماً مفاتن



المرأة.»

وسمعت صوت سيلاس يطلب منها الانتقال من مكانها لتقف في مكان آخر. ولكنها لم تتحرك من مكانها فقال لها بلير ساخراً:

«افعلي مايطلبه منك يا آنسة ميتلاند. فأنا لا أريد أن أعطلك عن الحصول على المال.»

وأجابت مارلين قائلة:

«إنني لا...»

ولكن سيلاس لم يمكنها من إتمام حديثها. فراح يستحثها على أن تفعل ماطلبه منها قبل أن تغيب الشمس.

وتركها بلير ولكنه قبل أن يغادر المكان التفت إليها قائلاً:

«لو لم تكوني مشغولة بالتصوير إلى هذا الحد لدعوتك إلى النزول معي إلى الشاطئ، لزيارة مسقط رأس بيتهوفن وصالة الموسيقى الجديدة. ولكن...»

وهز بلير كتفيه وابتعد عنها. فصاحت مارلين تستوقفه قائلة إنها تود الذهاب معه وإنها ستلحق به فوراً. ولكن بلير لم يتوقف واكتفى بأن التفت إليها وعلى فمه ابتسامة ساخرة ومضى في طريقه.

وعندما حان موعد العشاء لاحظت مارلين أن بلير وشارون متغيبان وقد جلس والدا الفتاة يتناولان العشاء بمفردهما. وشعرت مارلين بالضيق وهي تفكر في أن بلير قد اصطحب شارون معه إلى الشاطئ، وأنه لولا ارتباطها بسيلاس لكانت إلى جانبه الآن بدلاً من هذه الفتاة.

وبعد العشاء جاءت السيدة لو فجلست إلى جوار مارلين وأخذت تتحدث معها، وتطرق الحديث بينهما إلى دوغلاس فحاولت مارلين أن تغير مجرى الكلام لأنها لم تكن على استعداد للتمادي في الكذب عن علاقتها المختلقة مع دوغلاس.

فقالت:

«كم يكون جميلاً لو أننا استمعنا إلى بعض الموسيقى الهادئة في المساء. إنني أفتقد ذلك على هذه السفينة.»

وفي هذه اللحظة سمعت مارلين صوت ضحكات وأصوات أقدام تهبط الدرج ودخل بلير وشارون إلى البهو، فجرت شارون ضاحكة وقد بدت عليها السعادة إلى حيث يجلس والداها، وتبعها بلير الذي كان يمشي بتؤدة ولا يبدو عليه أي انفعال.

وصاحت شارون قائلة:

«لقد أمضينا وقتاً ممتعاً. أخذني بلير إلى كل مكان وتناولنا العشاء في مكان هادئ.»

واستمرت شارون في حديثها، وحاولت مارلين ألا تهتم بما تقول والتفتت إلى السيدة لو تحاول استدراجها إلى الحديث معها، ولكن السيدة لو كانت تحاول تتبع حديث شارون باهتمام شديد، وبدلاً من أن تلتفت إلى مارلين صاحت تحيي بلير الذي كان يجلس على مقربة منها طالبة منه أن يشاركها الحديث وقالت:

«سمعنا الآنسة ماكدويل أنها أمضت وقتاً جميلاً معك.»

وارتسمت على وجه بلير ابتسامة ساخرة وهو يقول:

«نعم كانت أمسية جميلة، استمتعت برؤية كل شيء بصحبة هذه الفتاة الرائعة.»

ثم التفت إلى مارلين يسألها:

«وأنت يا آنسة ميتلاند، هل استمتعت بمشاهدة المدينة؟»

«إنني لم أترك السفينة.»

وكان رد مارلين بفتور وهي ترقب بغيظ وجه بلير الذي رفع حاجبيه وكأنه يتعمد السخرية منها.

وأضافت السيدة لو:

«لقد كنا نتجاذب أطراف الحديث وكانت الآنسة ميتلاند تتمنى لو أنه كان بإمكاننا الاستماع إلى بعض الموسيقى الهادئة في البهو، أليس كذلك يا آنسة ميتلاند؟»

وانحنى بلير إلى الأمام وقد وضع ذراعيه فوق ركبتيه وضمّ يديه وسألها قائلاً:



«أي نوع من الموسيقى تفضله الآنسة ميتلاند، ربما بيتهوفن.»

وشعرت مارلين في هذه اللحظة بأنه يتعمد ذكر بيتهوفن لإغاظتها وكأنه يريد بطريقته الخاصة أن يذكرها بالفرصة التي أضاعتها بعدم مشاهدتها مسقط رأس بيتهوفن.

وبعد قليل استأذنت السيدة لو للانضمام إلى إحدى السيدات، وكانت شارون مازالت تقص على والديها المزيد من التفصيلات، وسمعتها مارلين تقول:

«وبعد العشاء... طلب بلير مكالمة تليفونية وقال إنه يحدث صديقته. ولما لم أصدق ذلك قال لي إنها تدعى ميرفا وإنها تقيم بالقرب من منزله في أمستردام، ووضع السماعة فوق أذني لأسمع صوتها وكانت تتحدث بالهولندية.»

ونظر بلير إلى مارلين وقد استند بظهره إلى المقعد ثم سألها:

«لماذا تبدين شاحبة يا آنسة ميتلاند. هل حدث شيء؟»

عرفت مارلين تماماً أن بلير بسؤاله هذا يتعمد إثارتها، وبدلاً من أن تجيبه سألته قائلة:

«هل... صديقتك مغرمة بالموسيقى ياسيد بارون، وهل تحب مثلك الموسيقى القديمة؟»

فأجاب بلير مبتسماً:

«لا يا آنسة ميتلاند... للأسف فإن صديقتي قالت لي مرة إنها تود لو تحطم جميع التسجيلات الموسيقية التي أمتلكها.»

وحدقت مارلين في وجهه بدهشة وهي تسأل:

«ولكن لماذا؟»

«لماذا؟ لأنها تعتقد أن الموسيقى تأخذني منها وهي تريد ألا أفكر في شيء آخر عداها... هل توافقين على هذا الرأي يا آنسة ميتلاند؟»

«أعتقد أن هذا يتوقف على مدى العاطفة التي تربط بين الشخصين. أعني... كم يحب كل منهما الآخر.»

ثم أردفت وكأنها تحدث نفسها:
«لاأعتقد أن هناك شيئاً أفضل من الاستماع إلى الموسيقى بصحبة من تحب.»
«ألا تعتقدين أن الموسيقى قد تبعدهما بعضهما عن بعض؟»
«على العكس من ذلك.»
ثم رفعت مارلين نظرها إليه وهي تضيف:
«بل تقربهما بعضهما من بعض.»
«تعنين من ياآنسة ميتلاند... صديقك عازف البكيان هذا الشخص الذي ستتزوجينه.»

وكادت مارلين تقول لبلير إنها ليست مخطوبة لدوغلاس كما زعمت، ولكنها شعرت أنه لايمكنها التراجع الآن، في أي حال لن ترى بلير أو أي شخص آخر من ركاب السفينة بعد انتهاء الرحلة، وقد آلمتها هذه الفكرة من جديد.

وسمعت مارلين صوت سيلاس يناديها لتنضم إليه على المقصف، ولم تكن مارلين ترغب في ذلك ولكن وجود بلير فضلاً عن الابتسامة الساخرة التي ارتسمت على شفتيه دفعها إلى قبول دعوة سيلاس.

واعتذرت لبلير وتوجهت إلى المقصف حيث يجلس سيلاس الذي وضع ذراعه حول كتفيها ثم حول خصرها.

وقال محدثاً الساقية التي تقف خلف المقصف:
«هذه الفتاة الجميلة، إنها العارضة التي تعمل معي، وهي أجمل بكثير من أن تعمل مدرّسة للموسيقى.»

وضايق حديثه مارلين ولكنها لم تحاول أن تبتعد عنه، ورغم أنها لم تكن تستطيع في جلستها هذه أن ترى بلير بارون بارون إلاّ أنها كانت تشعر بنظراته تخترق جلدها كوخز الدبابيس.

وملأها شعور بالثورة والتحدي، لقد قامت بهذه الرحلة للاستمتاع بعطلتها، ومن حقها أن تفعل أي شيء تريده بدون الاهتمام برأي هذا الشخص المدعو بلير بارون.



وعندما قدم لها سيلاس كأساً لم تتردد في احتسائها وطلبت كأساً ثانية ثم ثالثة... وقبل أن تنتهي من احتساء الكأس الثالثة شعرت بدوار ولكن هذا لم يمنعها من أن تحتسي الكأس بأكملها.

وفي هذه الأثناء ترك بلير مكانه في البهو واتجه إلى المقصف وأخذ ينظر إلى مارلين ثم همس لها قائلاً:
«لقد تعديت حدودك ياآنسة ميتلاند... ويجب أن تتوقفي الآن قبل أن تفقدي رشدك تماماً.»

ولكن مارلين لم تعر كلامه انتباهاً، ورمقته بنظرة حزينة وهي تطلب من سيلاس أن يحضر لها كأساً أخرى. فرمقها بلير بنظرة قاسية، وبعد أن احتست قليلاً من كأسها انتابها صداع شديد فنزلت من فوق مقعدها لتغادر المقصف، ولكنها لم تستطع الوقوف فقد سقطت وارتطمت رأسها بالأرض.

وظلت في مكانها لاتقوى على الحركة وسمعت صوتاً عرفت فيه صوت بلير يناديها بصبر نافد لتنهض على قدميها. ثم امتدت يدا بلير القويتان لتساعداها على النهوض ثم امتدت ذراعاه لتحملاها، وسمعت صوته وهو يطمئن من حوله إلى أنه لم يحدث شيء وإلى أنه سيعتني بها.

وحملها بلير وقد أسندت رأسها إلى كتفه وبدلاً من أن يتجه بها إلى حجرتها اتجه بها إلى حجرته وأوقفها على قدميها وأدخلها إلى الحمام حيث وضع رأسها تحت الماء البارد.

وشعرت بأنها لاتقوى على التنفس فصرخت طالبة منه أن يتركها... وتركها بعد ذلك لتقع على الأرض وهي تصيح قائلة:
«إنك وحش... إنك لست آدمياً.»

وعندما أوقفها بلير من جديد، لم تكن تقوى على الوقوف فاستندت إليه، ووضع ذراعيه حولها وأسندت رأسها إلى صدره وهي مازالت تنتحب وتتهمه بالقسوة والوحشية وقالت:
«إنك تؤلمني كلّما أمسكت بي... إنني أكرهك... أكرهك.»
فقال بلير:

«لا أتوقع منك شيئاً غير ذلك في هذه اللحظة... هل جننت لتشربي كل هذا القدر... كان لا بدّ أن يعيدك شخص إلى وعيك.»

وأسندت مارلين رأسها من جديد إلى كتفه وهي تهمهم قائلة:

«يمكنني أن... أفعل... أي شيء أريده... وأن أشرب.»

وتوقفت عن الحديث فقد أخذ بلير يجفف شعرها بالمنشفة ثم حملها إلى حجرتها وأخرج مفتاحاً من جيبه فتح به الباب، وهي تعجب من ذلك لأنها كانت تحتفظ بمفتاحها في جيبها.

وبعد أن وضعها فوق فراشها فتح النافذة، ثم عاد ونظر إليها وهو يقول:

«ألا زلت تكرهينني؟»

«أكثر من أي وقت مضى... إنني أشعر بصداع فظيع.»

ولم يظهر على بلير أي تعاطف معها فنظرت إليه قائلة:

«إذا كنت ستعامل صديقتك بهذه الطريقة بعد الزواج، فإنني أرثي لها، ستكون زوجاً فظيعاً لأنك قاس لاشعور عندك.»

«أعرف ذلك، ولا يمكن تغييره، ولقد تعلمت أن أقبل ذلك كجزء من طبيعتي.»

ولسبب لم تكن تريد الاعتراف به، وجدت مارلين الدموع تنحدر من عينيها، إنها على يقين من أنها تبكي لأن بلير لم ينكر اعتزامه الزواج من صديقته.

ثم قال بلير:

«الآن وقد عدت إلى حالتك الطبيعية، يمكنني أن أتركك وأنا مطمئن.»

فردت في تحد:

«إنني لم أكن متعبة.»

فتجاهل بلير قولها وسألها قائلاً:

«هل يمكنك أن تغيّري ثيابك بنفسك.»

«نعم شكراً، حتى لو لم يكن بمقدوري أن أفعل ذلك فإنني أفضل النوم بهذه الثياب المبتلة على أن تلمسني بيدك.»

ولم يرد بلير بشيء وساد الصمت لحظة ثم ترك الحجرة وأغلق الباب خلفه.



وعندما فتحت مارلين عينيها من جديد كان نور الحجرة مازال مضاء وكان شعرها مازال مبتلاً، إذ يبدو أنها استغرقت في النوم بعد أن تركها بلير بدون أن تقوى على تبديل ثيابها.

وحاولت الجلوس في فراشها، ولكنها شعرت بأن كل جزء من جسمها يؤلمها، ولم تكن تقوى على رفع رأسها من فوق الوسادة.

وجاهدت لتنزل ساقيها من فوق الفراش وجلست على حافته ونظرت إلى ساعتها، كانت الواحدة تقريباً بعد منتصف الليل، وكان لابد لها أن تبدل ثيابها فجاهدت لتقف على قدميها واستدارت لتستند إلى أحد المقاعد بجانب الفراش فأطاحت بيدها زجاجة مثبت الشعر فسقطت على الأرض محدثة صوتاً عالياً.

وعند ذلك سمعت مارلين صوت حركة في الحجرة المجاورة... وبدا لها وكأن بلير بارون لايستطيع النوم بدوره.

وسمعت طرقاً خفيفاً على باب حجرتها ثم رأت بلير بارون يدخل من الباب الذي لم يكن موصداً من الداخل.

وكان بلير يرتدي ثياب النوم وقد وضع فوق كتفيه رداء منزلياً قصيراً... وكان شعره غير مرتب ولكن لم يكن هناك أي أثر للنوم في عينيه وظنت مارلين أنه ربما كان يقرأ.

ونظرت إليه في دهشة شديدة وهي تسأله:

«ماذا تريد؟»

ولم يرد بلير على سؤالها بل سألها بدوره:

«لماذا أنت مستيقظة ولماذا لم تذهبي إلى فراشك؟»

«كنت نائمة ولم أستيقظ إلاّ الآن.»

«هل أنت متأكدة مما تقولين؟ إنك تبدين وكأنك مازلت نائمة... في الحقيقة إن شكلك يبدو فظيعاً.»

فردت في جفاء:

«أشكرك على هذه المجاملة.»

فتنهد بلير وهو يقول:

«انظري إلى نفسك في المرآة وستعرفين ما أعني بكلامي.»

ثم أضاف في لهجة جادة:

«إن هناك شيئاً واحداً مؤكداً... أن ما حدث اليوم سيلقنك درساً مفيداً وهو ألا تحاولي بعد ذلك أبداً أن تفرطي في الشراب.»

«لقد قلت لك إنني لم أفرط في الشراب.»

«لا داعي للمناقشة... سأحاول أن أكون لطيفاً معك. وبينما تقومين بتغيير ثيابك سأذهب إلى المطبخ لأحضر كوباً من الحليب الساخن.»

فاتسعت عيناها وهي تنظر إليه في دهشة قائلة:

«ولكن كيف يمكنك أن تفعل ذلك... إنك مجرد مسافر على السفينة ولن يسمح لك بالدخول إلى المطبخ وخاصة في مثل هذه الساعة.»

وتجاهل بلير قولها وقال:

«يجب أن تسرعي بتبديل ثيابك وإلا فإنني قد أعود لأجدك في مظهر غير لائق... وهذا آخر شيء أتوقعه من مدرسة موسيقى رقيقة مثلك.»

وبمجرد خروج بلير من الغرفة بدأت مارلين في تغيير ثيابها بدون أن تعبأ بجمع الثياب التي سقطت على الأرض إذ كان عليها أن تأوي إلى الفراش قبل أن يعود بلير بارون.

وما أن انسلت بين طيات فراشها حتى دخل بدون أن يطرق الباب وفي يده فنجان يتصاعد منه البخار.

فقالت مارلين:

«كيف أمكنك الحصول على هذا؟ هل أيقظت كبير الطهاة؟»

فلاذ بالصمت، وبدلاً من ذلك أخرج زجاجة صغيرة من جيبه وأفرغ منها قرصين وقدمها إليها، ولكنها هزت رأسها بالرفض. فقاطعها قائلاً:

«إنها ليست سماً يا آنسة ميتلاند. فهي مزيلة للألم وسوف تساعدك على النوم.»

ولكن يدها استقرت داخل الفراش.

واستطرد بصبر قائلاً:

«ربما تناهى إلى علمك أن هناك رحلة غداً إلى وادي آهر حيث الطبيعة الجميلة



والنزهة الممتعة. فإذا لم تنامي جيداً ليبرح الصداع رأسك فإنك لن تتمكني من الاشتراك فيها.»

فمدت مارلين يدها وأخذت منه الدواء، ووقف أمامها ليراقبها وهي تتناوله. ثم قدم إليها كوب الحليب.

وبعد أن شربت كل ما في الكوب نظرت إليه بعينين غلبهما النعاس:

«إنه لذيذ الطعم... كان لطيفاً منك أن تحضره إليّ.»

«إذاً فأنا لست دائماً سيئاً أو قاسياً أو عديم الشعور!»

ثم ربت على خدها برقة وهو يقول:

«كنت تقولين إنني أسبب لك الألم كلما أمسكت بك أو لمستك فهل تشعرين بألم الآن وأنا أربت على خدك؟»

فنظرت إليه وهمست قائلة:

«لا...»

ولكنها لم تقو على أن تقول له إنه سبب لها ألماً من نوع آخر. ألماً تشعر به في أعماقها وداخل قلبها.

وأخذت تراقبه وهي يطفيء النور ويخرج من الحجرة.

# ٤ ـ متى ينهار الجدار؟

استيقظت مارلين صباح اليوم التالي على صوت طرقات على باب حجرتها...ثم فتح الباب ودخلت سيدة ترتدي زي العاملين على السفينة، وكانت تحمل صينية عليها بعض الطعام.

قالت السيدة تحدث مارلين:

«إنني أدعى ميفرو دي بروان رئيسة المضيفات على السفينة، وقد طلب إليّ السيد بارون، أقصد السيد دي بروان المدير وزوجي في الوقت نفسه، إحضار الطعام إليك فقد انقضى موعد الافطار»

وقربت المضيفة الصينية من مارلين التي رفعت نفسها قليلاً فوق الفراش وأخذت المضيفة تقول:

«لقد أعددنا هذا الطعام خصيصاً لك بناء على تعليمات السيد... أقصد بناء على تعليمات زوجي.»

ونظرت إلى مارلين وهي تبتسم ابتسامة مشجعة تستحثها على تناول شيء من الطعام.

ولم تكن مارلين في حاجة إلى مثل هذا التشجيع لأنها كانت جائعة.



واستطردت المضيفة تقول وهي تضع الصينية:

«لقد طلب مني السيد بارون أن أذكرك بأن الباص الذي سيقلكم إلى وادي أهر سيكون في انتظاركم بعد ساعة. فأرجو أن تستعدي ليمكنك اللحاق به.»

وانتهت مارلين من تناول إفطارها وارتداء ثيابها بسرعة.

وعندما صعدت إلى سطح السفينة أخذت تبحث عن مقعد، ولكنها لم تجد سوى بعض المقاعد التي لاتصلح للاستعمال لأن المسافرين الآخرين كانوا قد سبقوها إلى سطح السفينة.

وبينما هي تتلفت حولها رأت رجلا يخرج من غرفة قائد السفينة متجهاً إليها وكان بلير بارون.

نظرت إليه مارلين في تعجب وهي تسائل نفسها: كيف يسمح له بالدخول إلى المناطق التي لايسمح لغيره من الركاب الدخول إليها.

وسألها بلير وهو يتفحصها:

«هل تشعرين بتحسن؟»

«نعم...شكراً.»

«والآن وقد عدت إلى وعيك... هل تذكرين ماحدث بالأمس؟»

«تعني عندما حاولت إغراقي بالماء... بالطبع أذكر ذلك تماماً.»

فضحك بلير وهو يقول:

«ألم تغفري لي... رغم أنني فعلت ذلك لمصلحتك؟»

«لا لم أغفر لك... فقد كنت عنيفاً للغاية. كنت...»

ثم توقفت لتلتقط أنفاسها قبل أن تستطرد:

«كنت في غاية القسوة. لقد شعرت بأنني أكاد أموت.»

«لقد اضطررت إلى ذلك، لأن حالتك كانت سيئة للغاية فأنت لست معتادة على الافراط في الشراب، ولهذا يا آنسة ميتلاند يجب أن تشكريني بدلاً من أن تلوميني.»

والتقت نظراتها ولمحت في عينيه نظرة متلهفة متسائلة لم تدر ماذا يقصد بها.

وشعرت وهي تنظر إليه أن ساقيها لاتقويان على حملها، وودت لو تعرف ماذا يريد منها هذا الرجل.

ووجدت من واجبها أن تشكره فقالت بفتور:

«أرجوك أن تقبل شكري على كل ما فعلت.»

وأخذت مارلين تنظر حولها من جديد في محاولة للحصول على مقعد مناسب فسألها بلير وهو مقطب:

«هل كل المقاعد غير صالحة؟»

«إنها جميعاً في حاجة إلى الاصلاح.»

وفي هذه الأثناء سمعت مارلين صوت باميلا تناديها قائلة:

«مارلين... تعالي واجلسي بجانبي، فإن زوجي الشهم سيتنازل لك عن مقعده.»

وبينما هي تتجه إلى باميلا سألها بلير:

«هل تشعرين بأنه بامكانك فعلاً الاشتراك في رحلة اليوم؟»

«قلت لك إنني أشعر بتحسن.»

ثم ترددت قليلاً قبل أن تسأله:

«هل... هل ستذهب معنا؟»

فأجابها بالايجاب وهو يبتسم ثم سألها:

«هل يجعلك ذلك تعدلين عن الذهاب؟»

فردت في اضطراب واضح:

«إنني... إنني... حسناً إنني...لا.»

فضحك بلير وهو يلاحظ تلعثمها، فشعرت بأنها قد كشفت الكثير عما يعتمل في نفسها فأضافت قائلة:

«أعتقد أنني لن ألاحظ إذا ما كنت موجوداً معنا أم لا.»

فخفض بلير رأسه قليلاً وهو يقول:

«إنك تدفعينني لأن أفعل شيئاً لأتأكد من صدق ماتقولين.»

ثم رفع عينيه إليها وشعرت بالخوف وهي تنظر إليه ثم علت شفتيه ابتسامة



لطيفة جذابة وهو يبتعد عنها ويتركها.

جلست مارلين على أحد المقاعد في الباص بمفردها، فقد آثر سيلاس البقاء على ظهر السفينة، وجلس أمامها غليس وباميلا ثم جاءت السيدة لو لتحتل المقعد المجاور لها.

وإلى الناحية الأخرى جلس أمامها والدا شارون، أما شارون فجلست على المقعد المجاور أمامها إلى جانب بلير بارون.

وبدأت الرحلة، وحاولت مارلين الاستمتاع بالمناظر الطبيعية الجميلة التي كانت تمتد على جانب الطريق، ولكنها رغماً عنها كانت تنظر بين آونة وأخرى إلى حيث يجلس بلير وشارون التي بدت سعيدة.

شعرت مارلين بالغيرة عندما رأت بلير ينحني مبتسماً ليستمع إلى حديث شارون، أو ليتحدث مع غيرها من الركاب.

ورغم أن السيدة لو حاولت استلفات نظرها إلى جمال الطبيعة ومزارع الكروم التي تمتد على التلال في تنسيق جميل، إلا أنها لم تستطع رفع نظرها عن بلير الذي جلس وظهره إليها.

والتفت بلير إلى الخلف وظنت مارلين أنه ربما فعل ذلك بدافع الفضول ليعرف أين تجلس وإلى جانب من. والتقت نظراتهما ويبدو أن بلير لاحظ نظرة الاستياء في عينيها فحول نظره عنها سريعاً.

وحدثت مارلين نفسها قائلة:إذا كان يمكنه أن يكون لطيفاً إلى هذه الدرجة مع شارون، فلماذا لا يعاملها هي بهذه الطريقة؟

ومضت ساعة قبل أن يصل الباص إلى بلدة مايسكوس، فاتجه الجميع إلى إحدى البقاع القديمة الأثرية لمشاهدتها ودخلوا إلى قبو يستخدم لتخزين الشراب... وكانت مارلين تمشي بمفردها بعد أن تركتها السيدة لو لتتحدث مع صديقة لها... ودخلوا إلى نفق طويل سقفه منخفض.

وشعرت مارلين بالرعشة تسري في أوصالها وفجأة وجدت بلير إلى جانبها، يسألها مبتسماً:

«هل تشعرين بالبرودة؟»

«قليلاً. لقد تركت الجاكيت في الباص.»

«لو كنت أعرف ذلك لنبهتك إلى إحضارها.»

ثم رفع بلير ذراعه ووضعه حول كتفيها وسألها وهو يقربها منه:

«هل تشعرين بتحسن الآن؟»

وأحست مارلين بجسدها ينتفض تحت ملمس ذراعه. وأخذت تسائل نفسها: لماذا يقربها منه. ألم يلاحظ كيف ينظر الجميع إليها. وكيف يبدو الاستياء على شارون وهي تراه يتركها ليصاحب فتاة أخرى؟

ثم سألها بلير:

«هل تعترضين على وضع ذراعي حول كتفيك، كما فعلت بالأمس؟»

ولمست مارلين في صوته رنة السخرية فاحتقن وجهها، ولكنها لم ترد عليه فاستطرد متسائلاً:

«وهل استعدت توازنك؟»

فرفعت مارلين يدها إلى رأسها قائلة:

«مازلت أعاني من بعض الصداع.»

«يمكنك تناول قرصين من الدواء. هل تحتفظين به معك؟»

فهزت رأسها بالايجاب وسألها عن كتفها. فأجابته وهي تتعجب من قلقه عليها:

«إنه يؤلمني قليلاً عندما أرفع ذراعي.»

«ذلك يعني أنك لن تطالبي الشركة بأي تعويض؟»

فنظرت إليه شاعرة بأنه يحاول إثارتها فردت في حدة:

«بالطبع لا. فقد كانت غلطتي.»

«هذا صحيح، ولكن البعض يطالبون الشركة بتعويضات في مثل هذه الحالة حتى ولو كانوا هم المخطئون.»

«وكيف لك أن تعرف ذلك ياسيد بارون؟»

«لقد توقعت أن توجهي إليّ مثل هذا السؤال، فإنك تحاولين معرفة كل شيء عني



وخاصة أنك شاهدتني مراراً أتحدث إلى قائد السفينة.»

«هذا حقيقي وقد ساءلت نفسي كيف يسمحون لك من دون جميع الركاب بالدخول إلى غرفة القيادة؟»

«لك أن تستنتجي ماتشائين ياآنسة ميتلاند. فإنني مصمم على القيام بدور الرجل الغامض، كما تعتقدين، حتى انتهاء هذه الرحلة. فإن ذلك سيجعل الرحلة مثيرة بالنسبة اليك. ولكن، أليس من الممكن أن أكون مجرد راكب عادي على ظهر السفينة يقضي عطلته مثل غيره من الركاب؟»

«ربما.»

«وأنت لا تحاولين التجسس أو معرفة شيء عن الركاب الآخرين. إذاً لماذا تحاولين ذلك معي؟»

ولم تجد مارلين ماترد به فآثرت الصمت.

واستمروا في السير داخل النفق وكان الضوء خافتاً وقد اصطفت براميل الشراب على الجانبين وهمس بلير يقول لمارلين:

«ألا يبدو هذا المكان وكأنه سجن؟»

ونظرت إليه مارلين وهزت رأسها بالايجاب فابتسم وهو يضمها إليه كأنه يقول لها إنه إلى جانبها ليحميها.

وقادهم النفق إلى قاعة فسيحة فيها عدد من المقاعد الخشبية والموائد الطويلة وفي أحد جوانبها منصف. وسمعت مارلين صوت المضيف وهو يدعو الجميع إلى تذوق الشراب الذي اشتهر به الوادي ثم شراء مايلزمهم منه إذا كانوا يريدون ذلك.

وتركت مارلين بلير لتتجه إلى المنصف ولكنه أمسك بها متسائلاً:

«إلى أين ستذهبين؟»

فنظرت إليه في دهشة قائلة:

«إلى المنصف طبعاً لأحصل على بعض الشراب. ماذا تظن غير ذلك؟»

«لا...لا شراب لك يافتاتي الصغيرة. بعد ما حدث من متاعب بالأمس. ومهما

حاولت التظاهر بغير ذلك فإنك لم تعودي بعد إلى حالتك الطبيعية، ومازلت تعانين من الصداع، في أي حال يمكنك شرب بعض عصير العنب الذي وضع خصيصاً لمن يرغب.»

وتناول بلير كأساً من العصير قدمها إليها قائلاً لها بلهجة آمرة:

«اجلسي في أي مكان وسألحق بك فوراً.»

وأطاعته مارلين واتخذت لها مقعداً وهي لاتدري هل أطاعته بسبب لهجته الآمرة أم لأنها تريد بالفعل الجلوس معه.

ولحق بها بلير بعد ذلك وقال:

«لقد اشتريت دستة من زجاجات الشراب الفاخر... من يدري ربما نشربها معاً في يوم من الأيام.»

ثم رفع كأسه في حركة تمثيلية قائلاً:

«نخب المستقبل، عندما... من يدري، عندما تكونين قد توصلت إلى حلّ للغز الرجل الغامض على ظهر السفينة، هذا اللغز الذي يسبب لك قلقاً كبيراً.»

ثم نظر إليها محتسياً كأسه والضحكات تتراقص في عينيه.

وبينما كانت مارلين تحتسي قدحها سمعت صوتاً ينادي بلير، ثم امتدت يدان من خلفه لتلتفا حول كتفيه في مرح وانحنى وجه شارون في حركة صبيانة فوقه قائلة بدلال:

«لقد نسيتني يابلير، تعال واجلس معنا.»

ولكن بلير التفت إليها وقال مشيراً إلى المقعد الخالي المجاور له:

«ترين أنني لاأجلس بمفردي... تعالي أنت وانضمي إلينا، فكم يسعدني أن أجلس محاطاً بالفتيات الجميلات.»

جلست شارون حيث أشار بلير قائلة:

«سأفعل أي شيء تطلبه مني يابلير مادمت تصفني بأنني جميلة.»

وبعد ما انتهت مارلين من احتساء قدحها وقفت وهي تقول:

«أرجو أن تأذن لي ياسيد بارون بالذهاب.»



«ولكن إلى أين تذهبين؟»

«إلى حيث أريد أن أكون. وليس حيث أمرت أن أجلس.»

وظهر الاستياء واضحاً على وجه بلير للهجة الحادة التي أجابته بها، ولكنها لم تهتم بل رمقته بنظرة تحدٍ، ثم اتجهت صوب السيدة لو وجلست في المقعد المجاور لها. وابتسمت السيدة لو مرحبة بها وأخذت تجاذبها أطراف الحديث.

لم يحاول بلير الاقتراب من مارلين بعد ذلك، وهي بدورها كانت تتحاشى الاقتراب منه. وبدا مهتماً بشارون التي كانت سعيدة للغاية لوجوده إلى جانبها، وسمعت مارلين ضحكاتها تتعالى بين الحين والآخر.

وفي الطريق توقف الجميع في أحد المقاهي الصغيرة حيث تناولوا القهوة، ثم سار بهم الباص بعد ذلك في طريق تحيط به القرى الصغيرة ليصلوا بعد قليل إلى أحد الفنادق حيث كان من المقرر أن يتناولوا طعام الغداء.

وعندما دخل الجميع إلى صالة الطعام، تعمدت شارون الجلوس إلى جانب بلير الذي بدا عليه الاستمتاع إلى حد كبير بحديثها ووجودها إلى جانبه.

وبعد الانتهاء من تناول الغداء، توجه الجميع إلى خارج الفندق وراء المرشد. وكانت أشعة الشمس حارقة، فرفعت مارلين يدها إلى رأسها في حركة غريزية لحماية رأسها. ولاحظت السيدة لو ذلك فسألتها:

«ألا تحبين أشعة الشمس؟»

«لا أستطيع أن أحتملها لفترة طويلة، فإن جلدي حساس إلى حد ما لأشعة الشمس.»

«ولكن أليست معك قبعة؟ فإنك ستحتاجين إليها؛ أليس كذلك ياسيد بارون؟»

والتفتت مارلين إلى حيث توجه السيدة لو حديثها فرأت بلير بارون يسير إلى جانبها. ثم قال موجهاً حديثه إلى مارلين:

«لا بدّ أن لديك قبعة.»

«لا... لم أحضر واحدة معي. فإنني لا أحب ارتداء القبعات.»

«ولكن لابدّ أن ترتدي واحدة لحماية رأسك من الشمس الحارقة.»

«إن شعري غزير ولن تؤثر أشعة الشمس على رأسي.»

فهز كتفيه في عدم اهتمام وابتعد وهو يهمهم قائلاً:

«سترين أنني على حق... لايمكنك أن تعاندي أيضاً قوى الطبيعة.»

وأخذت المجموعة تتجوّل في الحدائق الفسيحة التي تحيط بمبنى الفندق... وكان بلير يسير إلى جانب شارون ويتبعها إلى حيث تذهب.

وشعرت مارلين بأشعة الشمس الحارة تكاد تخترق رأسها، ولاحظت باميلا التي كانت تسير إلى جوارها أنها ترفع يدها إلى رأسها بين وقت وآخر، فعرضت عليها أن تعيرها وشاحها الحريري الذي كانت تضعه حول عنقها، وكانت مارلين تتمنى بالفعل أن تقبل ذلك لولا أن بلير كان يسير في هذا الوقت على بعد خطوات منها، ولم تكن تريد أن تشعره بأنها قد أخذت بنصيحته. فاعتذرت لباميلا.

ولكنها سمعت صوت بلير وهو يقول لها محذراً:

«أقترح عليك يا آنسة ميتلاند أن تقبلي عرض السيدة ريد.»

فالتفتت إليه مارلين ورمقته بنظرة متعالية، ثم مضت لاحقة بالسيدة لو.

وعندما استقلوا الباص من جديد، كان الجو حاراً في الداخل فأسندت مارلين رأسها إلى المقعد المجاور للسيدة لو، وكانت تشعر بإرهاق وظمأ شديدين فأغمضت عينيها وعندما فتحتها بعد ذلك فوجئت ببلير ينظر إليها وقد بدا عليه الغضب.

وتوقف الباص في الطريق لتناول الشاي، فشعرت مارلين بأنها تكاد تموت من شدة العطش، فشربت قدحين من الشاي ولكنها لم تأكل شيئاً.

واتجه الباص بعد ذلك إلى مدينة بروباخ حيث توجد إحدى القلاع التاريخية. ثم توقف عند سفح التل الذي تقبع فوقه القلعة. وكان عليهم أن يتسلّقوا هذا التل الشديد الانحدار على الأقدام ليصلوا إلى القمة.

وصاحت السيدة لو وهي تنظر إلى أعلى التل:

«كيف يمكنني الصعود على هذا التل المنحدر!»



ولكن غليس وباميلا تقدمتا منها وأمسك كل منهما بإحدى يديها وساعداها على الصعود معهما.

كانت القلعة تحيط بها الأسوار العالية. ودخل الجميع وراء المرشد ليتجولوا في أنحائها. وكان عليهم صعود المزيد من الدرجات الحجرية ليصلوا إلى أعلى القلعة حيث توضع المدافع التي كانت تستخدم في الدفاع عنها.

ثم توجهوا بعد ذلك إلى غرفة التعذيب ليشاهدوا العديد من الآلات الرهيبة. ووقفت مارلين ترتجف وهي تنظر حولها وفجأة سمعت صوت بلير إلى جانبها متسائلاً:

«لماذا ترتجفين؟ لاأعتقد أنك تشعرين بالبرودة ربما يخيفك منظر هذه الآلات الرهيبة.»

فهمهمت مارلين قائلة:

«إنها فظيعة.»

ثم التفتت إليه قائلة:

«لا أعرف كيف يمكنك الوقوف أمام هذه الآلات الفظيعة بدون أن يبدو عليك أي تأثر أو انفعال؟»

«ربما لأنني لاأطلق لخيالي العنان مثلك. لست مثلك أنفعل بأي حدث أسمع به سواء كان ذلك في الماضي أو الحاضر. لو أن الناس كانوا جميعاً مثلك على هذه الدرجة من الحساسية، يعيشون الأحداث كأنها تحدث لهم شخصياً، لتملكهم الحزن دائماً وأثر على أجسامهم وأذهانهم.»

«أنت تعتقد أنه يعيب الانسان أن تكون له مشاعر! إنك حقاً متبلد العاطفة. لامشاعر لك ولذلك تعتقد أن أي شخص له مشاعر إنسان ضعيف وغير طبيعي.»

فرفع بلير حاجبيه فيما يشبه الاحتجاج وهو يقول:

«إنني لم أقل ذلك.»

ثم ابتعد عنها ليلقي نظرة خلال إحدى الفتحات الضيقة الموجودة على الجدار.

فانتهزت مارلين هذه الفرصة لتبتعد عنه أكثر محاولة اللحاق بالآخرين الذين كانوا يتبعون المرشد في الطريق إلى أعلى. وبينما كانت تحاول صعود الدرج بسرعة تعثرت واصطدمت ساقها بإحدى الدرجات فصدرت عنها صرخة ألم. ولم يسمعها الآخرون الذين كانوا قد ابتعدوا عنها. ولكن بلير سمعها فأسرع خلفها وساعدها على النزول من فوق الدرج محاولاً أن يرى مدى إصابتها.

ونظر إلى قدمها وقد أصيبت ببعض الخدوش فأسرع بإخراج منديل نظيف من جيبه وهو يجول بعينيه بحثاً عن ماء لينظف لها جرحها. ولما لم يجد، حاول أن يعقد المنديل حول ساقها. ولكنها دفعت يده بعيداً قائلة:

«لا، شكراً. إنه مجرد خدش، وسيكون منظري سخيفاً.»

«إن هذا لا يهم.»

ولكنها لم تستمع اليه فأخذت تصعد الدرج من جديد، ولكن في عناية شديدة هذه المرة.

وعندما وصلت إلى نهاية الدرج التفتت إلى الخلف حيث كان يتبعها بلير فشكرته في برود على مساعدته، ثم انضمت إلى الآخرين.

كان المنظر رائعاً من هذا الارتفاع. فقد انساب نهر الراين بين المزارع الخضراء، وتناثرت المنازل البيضاء بأسقفها الحمراء بين الأشجار وفوق التلال، كما تناثرت بعض القلاع القديمة فوق القمم، وظهرت مزارع العنب بتقسيماتها الهندسية لتضيف جمالاً إلى روعة المنظر.

وفي طريقهم إلى أسفل التل من جديد، توقفوا بمقهى صغير حيث تناثرت بعض الموائد التي تعلوها مظلات واقية من الشمس.

ورأت مارلين بلير يسير بمحاذاتها، ثم اتجه إليها وأمسك بذراعها يقودها إلى إحدى الموائد قائلاً:

«تعالي، سأدعوك إلى قدح من الشاي، ولكنني أحذرك إذا رفضت دعوتي فسأقتحم حجرتك على السفينة، وأضعك فوق ركبتي. والآن ماذا تقولين، هل تتجرأين على الرفض؟»



نظرت إليه مارلين وقد بدا الارهاق الشديد عليها واجابته:

«أشعر بالظمأ الشديد.»

فهمس بلير بينه وبين نفسه

إنها تعترف لي، ولي أنا بضعفها. إنها تشعر بالظمأ إلى الدرجة التي تسمح لي فيها... أنا... بدعوتها إلى تناول الشاي! ألا يعتبر هذا فوزاً لي!

ثم تركها وعاد بعد قليل حاملاً صينية عليها قدحان من الشاي وبعض الشطائر الخفيفة. وجلسا يحتسيان الشاي معاً. وكانت أشعة الشمس حارقة، ولكن مارلين لم تجرؤ على وضع يدها فوق رأسها لحمايته، وبلير يجلس في مواجهتها.

واستأنفوا الهبوط مجدداً إلى أسفل التل، فبدأت مارلين تعرج في مشيتها لأن ساقها كانت تؤلمها. وأخذت تجول ببصرها تبحث عن بلير متمنية لو استندت إلى ذراعه القوية ليساعدها على الهبوط. وأخيراً رأته، ولكنه نظر إليها ولم يستجب لندائها الصامت.

وأخيراً عادت إلى السفينة واتجهت فوراً إلى حجرتها لتلقي بنفسها على الفراش. وازدادت آلام ساقها ففكرت في ان تطلب من المضيفة إحضار شريط لاصق لتضعه على الجرح بعد تنظيفه بالماء البارد، لأنها ارادت أن تتجوّل في المدينة بعد أن تأخذ قسطاً من الراحة. وبينما هي تفكر في ذلك سمعت طرقاً على الباب الذي فتح ودخل منه بلير بارون تتبعه المضيفة.

نظرت مارلين مندهشة إلى بلير الذي وجه حديثه إلى المضيفة قائلاً في لهجة آمرة:

«اعتني بالآنسة ميتلاند يا ميفرو دي بروان.»

تعجبت مارلين في نفسها من كون المضيفة لم يبد عليها أي امتعاض، وكأن من حق بلير أن يصدر إليها الأوامر والتعليمات.

ثم قال موجهاً كلامه إلى مارلين:

«ميفرو ستعتني بجرحك كل يوم حتى يتحسن.»

ثم أضاف بينما نظرت إليه مارلين متعجبة:
«طلبت منها أن تفعل ذلك كمعروف خاص لي.»
وتابع وعلى شفتيه ابتسامته الساخرة:
«بعض النساء يفعلن ما أطلب منهن بدون أية مناقشة. أليس كذلك يا ميفرو؟»
نظرت إليه ميفرو مؤكدة كلامه في اضطراب واضح فضحك بلير.
وأخذت مارلين تراقبه مغادراً الغرفة وهي تسائل نفسها عن سر موقفه منها واهتمامه المفاجئ، بها بعد أن تعمد تجاهل دعوتها الصامتة له على التل لمساعدتها!
وعندما صعدت مارلين في المساء إلى ظهر السفينة أثارت الضمادات الموضوعة حول ساقها انتباه المسافرين الآخرين. وأظهر سيلاس قلقه ولكنه لم يكن قلقاً عليها، بل كان يخشى أن يعطلها جرحها عن التصوير فقال:
«إنك لم تنتهي بعد من التصوير وكنت أنوي أخذ بعض الصور بعد يومين.»
فأكدت له مارلين أن الأمر ليس خطيراً وأنها ستكون على مايرام بعد يومين. وابتعدت عنه فسألها:
«أين تذهبين؟»
«للتجول قليلاً في المدينة.»
فنظر سيلاس إلى ساعة يده ثم قال:
«المحلات ستكون مغلقة الآن.»
«في أية حال حتى ولو لم تكن مغلقة، ليس باستطاعتي شراء شيء.»
«حسناً. سأذهب معك. انتظري.»
ولحق بها سيلاس ممسكاً بذراعها، وأخذا يسيران معاً في طرقات المدينة الضيقة، وكانت الأضواء تنبعث من كل مكان وصوت الموسيقى الصاخبة يتردد من داخل دور اللهو والملاهي، وواجهات المحلات تمتلىء بالمعروضات الجميلة. فراح سيلاس يقف بين آونة وأخرى لمشاهدتها. وتوقفا في سيرهما أمام محل لبيع المجوهرات ولفت نظر مارلين خاتم ماسي رائع وضع في مكان بارز في واجهة العرض وظهر بريقه يخطف الأبصار وقد انعكست عليه الأضواء ووضع في



علبة من المخمل الداكن اللون.
نظرت إليه مارلين طويلاً وتنهدت وهي تتمنى بصوت عال لو كان يمكنها امتلاكه.
وعندما استدارا إلى الخلف فوجئت مارلين ببلير بارون يقف خلفها واضعاً يديه في جيبيه ووقف يشاهد بدوره الخاتم.
ونظر إلى مارلين وشبح ابتسامة يتراقص على شفتيه:
«هل تشاهدين المعروضات في الواجهات؟»
«لايمكنني أن أفعل غير ذلك.»
ثم أضافت مارلين في برود:
«ليس فقط لأن المحل مغلق، ولكن لأنه ليس لدي المال الكافي لشراء هذه القطعة الرائعة من الماس. ولن يكون حتى بعد ألف عام.»
ثم أشارت إلى الخاتم الذي وضع في مكان بارز وأضافت:
«يمكنك أن تنظر إلى السعر الموضوع عليه لتدرك ذلك.»
فقال بلير في لهجة ساخرة:
«إنه شيء مؤسف. في أية حال يمكنك اختيار خاتم آخر أقل سعراً بكثير من هذا. عندما تعودين إلى صديقك الموسيقي.»
حملقت مارلين في وجه بلير متسائلة:
«صديقي!»
ثم تذكرت فجأة دوغلاس وما اختلقته بشأن زواجها. فأضاف بلير في سخرية:
«هل نسيته ولم يمض على فراقكم سوى خمسة أيام فقط. ياله من مسكين. لو أنك كنت خطيبتي لما وثقت بك.»
قال بلير ذلك وتركها ومضى بدون أن ينتظر إجابتها.
وعندما غادرت مارلين صالة الطعام في المساء متجهة إلى البهو التقطت أذنها صوت الموسيقى. فتوقفت وهي لاتكاد تصدق أذنيها وأخذت تنصت. وفجأة

سمعت صوت بلير قائلاً لها:

«حسناً يا آنسة ميتلاند، يبدو أنك لاتصدقين أذنيك.»

فلمعت عيناها متطلعة إليه وقالت في سعادة:

«إنه صوت الموسيقى فعلاً. ولكن كيف عرفوا؟ كيف خمنوا؟»

ثم قطبت وهي تردد:

«أنت الذي أخبرتهم.»

«لاتنظري إليّ هكذا! كأنني ارتكبت جرماً. نعم لقد أخبرتهم، إذا كنت تقصدين المسؤولين بالادارة، لقد أبلغتهم اقتراحك، وكنت أعتقد أن ذلك سيسعدك.»

«نعم، إنني سعيدة جداً.»

فنظر إليها بلير ملاحظاً سعادتها بسماع الموسيقى وقال:

«يبدو أن الموسيقى جزء منك، تسري في عظامك وفي دمك . يبدو أنها أهم شيء في حياتك، أليس هذا صحيحاً؟»

«إذا توقفت لفترة عن سماع الموسيقى فإنني أفتقدها، لا أدري لماذا أشعر دائماً بالحاجة إلى الاستماع إليها، إنها، إنها شيء أساسي بالنسبة إلي، مثل الغذاء.»

ثم توقفت مارلين عن الحديث ملاحظة أنها تسترسل في الحديث مع بلير بطريقة تكشف عن أعماق نفسها، وهو الرجل الذي قد يسخر من حبها ومن حاجتها إلى سماع الموسيقى.

وانتزعها صوت بلير من أفكارها وهو يسألها:

«هل تعرفين هذه المقطوعة؟»

فأشارت مارلين برأسها بالايجاب قائلة:

«إنها من مقطوعات شوبان.»

فعاد يسألها إن كانت تعرف تماماً أية سيمفونية. فترددت قليلاً وهي تجيب:

«السيمفونية الثالثة.»

«إنها السيمفونية الرابعة»

فنظرت إليه في شك تسأله:



«ولكن كيف عرفت، هل أنت موسيقي؟»

«لا، خانك ذكاؤك هذه المرة أيضاً. لست سوى رجل أعمال بسيط، ولكنني أحب الموسيقى وأمتلك العديد من التسجيلات الموسيقية التي أحتفظ بها في منزلي بأمستردام.»

فقالت متعمدة السخرية منه:

«وبالطبع عندك أحدث أجهزة التسجيل.»

«بالطبع، أمتلك أحدث الأجهزة.»

فتنهدت مارلين وهي تقول:

«إنني أحسدك، أعرف أن هذا لا يليق... ولكنني...أقصد...»

«تقصدين أن جهاز تسجيلك ليس من النوع الحديث.»

«لاأقصد ذلك تماماً، في أي حال إنه أفضل ماأمكنني شراؤه.»

ابتسم بلير فأطلت من عينيه نظرة دافئة. وودت مارلين لو استجابت لهذه الدعوة الصامتة التي بدت في عينيه وهو ينظر إلى شفتيها.

ولكنه حول نظره سريعاً عنها ناظراً إلى النهر وهو يقول:

«يجب أن تحاولي، في يوم من الأيام، الحضور إلى منزلي للاستماع إلى بعض تسجيلاتي الموسيقية.»

ثم أضاف في لهجة ساخرة:

«أقصد بالطبع أنت وخطيبك.»

فردت مارلين في سرعة:

«إنه ليس... أقصد أنه لا يحب السفر كثيراً.»

فرفع حاجبيه مندهشاً وهو يقول:

«سمعتك تقولين للسيدة لو بأنه موجود حالياً في هولندا حيث يعمل مع فرقة أوركسترا غير معروفة، أليس كذلك؟»

وشعرت مارلين بوخز ضميرها لأنها سمحت لنفسها باختلاق كل هذه القصص عن علاقتها بدوغلاس ولما لم تجد ماتجيب به حاولت تغيير مجرى

الحديث فقالت:

«أود فعلاً الاستماع إلى بعض تسجيلاتك الموسيقية ولكن للأسف أرى استحالة ذلك، إنني...»

ولم تكمل مارلين حديثها اذ انضمت إليها السيدة لو وهي تقول بانفعال:

«آنسة ميتلاند... الموسيقى... هل لاحظت ذلك؟»

ثم أضافت توجه حديثها لبلير:

«أليس هذا جميلاً ياسيد بارون؟ كم أنا سعيدة لأن إدارة السفينة اختارت هذه الموسيقى الكلاسيكية الجميلة بدلاً من الموسيقى الحديثة الصاخبة التي تفرض نفسها على آذاننا سواء رغبنا في الاستماع إليها أم لا.

ونظرت مارلين إلى بلير منتظرة إجابته على السيدة لو، ولكنه لم يلتفت إليها بل نظر إلى ساعة يده قائلاً:

«أرجو المعذرة... فإنني مرتبط بموعد»

ثم ابتسم للسيدة لو وانحنى لمارلين وغادر السفينة.

وقفت مارلين تراقبه متجهاً إلى الشاطىء وسألت نفسها: هل تسلل حب هذا الرجل إلى قلبها إلى الدرجة التي تشعر فيها بأنها تفتقده كلما ابتعد عنها؟

جلست مارلين على أحد المقاعد إلى جانب السيدة لو محاولة اشغال نفسها بالنظر إلى إحدى المجلات، بينما جلست السيدة لو تتحدث مع إحدى الصديقات.

ووجدت نفسها رغماً عنها تفكر في بلير: ماذا يفعل في المدينة في هذا الوقت من المساء؟ ربما ذهب للاتصال بصديقته في أمستردام. ولكن لماذا لم يقل ذلك؟ ربما لا يريد أن يتحدث عن حياته الخاصة مع الغرباء.

وانتبهت مارلين من أفكارها على صوت سيلاس الجالس إلى المقصف كعادته يدعوها للجلوس معه، ولكنها ابتسمت معتذرة له في لطف ونظرت من جديد إلى الصحيفة التي بيدها.



وعندما عادت مارلين إلى حجرتها وأوت إلى فراشها، سمعت صوت باب حجرة بلير يفتح، ولأول مرة منذ بدء الرحلة وجدت مارلين نفسها تهتم بالاستماع إلى كل مايصدر من الغرفة الملاصقة لها من أصوات أو حركات.

وعندما غلبها النعاس أخيراً انطلق خيالها لترى بلير في أحلامها، معها في غرفتها وقد انهار الجدار الذي يفصل بينهما!

# ٥ ـ عناق في الهواء

التقت مارلين بلير في الصباح وهما يخرجان من حجرتيهما وقال وهو يوصد بابه:

«كنت قلقة الليلة، هل ساقك مازالت تؤلمك؟»

واضطربت مارلين قليلاً وهي تفكر في أنه ربما كان يستمع إليها كما فعلت هي، وأجابت قائلة:

«إنني أسفة إذا كنت قد أزعجتك؟»

فهز كتفيه وهو يمشي بجانبها في الممر:

«لا، أبداً لم أكن نائماً في أي حال.»

«إن ساقي أحسن كثيراً، شكرا على سؤالك.»

وذهبا إلى صالة الطعام واتجه بلير إلى مائدته، ولكنه قبل أن يجلس على مقعده توقف قليلاً وهو يقول لمارلين:

«تأكدي من أن ميفرو دي بروان تقوم بواجبها نحوك تماماً.»

«يمكنني العناية بالجرح بنفسي.»

وأخذت شارون تجذبه ليجلس على المقعد ولكنه لم يستجب لمحاولتها واستطرد يقول لمارلين:



«لقد طلبت منها أن تعتني بك، وستفعل ما أطلبه منها!»

واحتقن وجه مارلين وقد أثارتها ثقته الزائدة في نفسه. وبدون أن توجه إليه كلمة شكر اتجهت إلى مائدتها حيث جلست.

وأخذت تفكر وهي تتناول إفطارها في الطريقة التي يتصرف بها بلير وقد بدا لها متعجرفاً. وساءلت نفسها: لماذا تفعل رئيسة المضيفات على السفينة مايطلبه منها بلير وهو مجرد راكب؟

وبعد الافطار توجهت مارلين إلى حجرتها. وبعد قليل جاءت ميفرو دي بروان لتعتني بالجرح، وقالت لها وهي تنزع عنه الشريط اللاصق:

«إنه يتحسن سريعاً، وربما أمكنك نزعه غداً. ولكن يجب أن تتوخي الحذر بعد ذلك.»

وشكرتها مارلين على مساعدتها لها فابتسمت لها المضيفة وهي تقول:

«ليس هناك تعب على الاطلاق، لقد طلب مني السيد بارون العناية بك وأنا ألبي طلبه.»

وصعدت مارلين بعد ذلك إلى سطح السفينة وكان الجو رائعاً والشمس مشرقة، وصعد الجميع إلى السطح وتنافسوا في الحصول على المقاعد القريبة من حافة السفينة حيث جلسوا في استرخاء يعرّضون أجسامهم لأشعة الشمس.

وبينما مارلين تبحث بعينيها عن أحد المقاعد الخالية ظهرت باميلا أعلى الدرج اتجهت إليها وهي تقول:

«هل تذكرين الخاتم الماسي الرائع الذي قال سيلاس إنه أعجبك جداً في بروباخ؟ لقد توجه سيلاس إلى المحل صباح اليوم ليلقي نظرة عليه قبل أن تقلع السفينة ولكنه لم يجده.»

«هل تعنين أن أحداً قد اشتراه؟ ولكن المحل كان مغلقاً ولن يفتح من جديد قبل تحرك السفينة من الميناء.»

«ربما، ولكن في أي حال لقد اشتراه أحد الأشخاص، وشارون رأت بلير بارون ينزل إلى المدينة الليلة الماضية، وعندما عاد اعترف لها بأنه اشترى الخاتم رغم أن المحل كان مغلقاً. وقال لها: إنه لايمكن لأي تاجر عاقل أن يرفض

قبول مثل هذا المبلغ الباهظ حتى ولو كان في غير أوقات العمل»

وتطلعت مارلين وهي تقول:

«ولكنه لا بد أن يكون ذا ثراء فاحش ليشتري مثل هذه القطعة الرائعة من الماس بهذا السعر الباهظ ولماذا يشتري مثل هذا الخاتم؟ لابد أنه يريد إهداءه إلى فتاة و...»

وقاطعتها باميلا قائلة:

«تماماً... فقد سألته شارون عما إذا كان سيقدمه لصديقته الجميلة، رد عليها بالايجاب... تخيلي، يدفع كل هذا المبلغ! لا بد وأن تكون فتاة رائعة لتستحق ذلك»

وتنهدت قائلة وهي تتجه للجلوس إلى جانب زوجها:

«كم هو جميل أن أكون صديقة لرجل غني»

وانضمت مارلين بعد ذلك إلى السيدة لو وجاهدت لتخفي حزنها بسبب ماسمعته من باميلا. وأخذتا تبحثان معاً عن مقعدين تحت أشعة الشمس.

وقالت السيدة لو وهي تنظر حولها:

«ألم تلاحظي يا آنسة ميتلاند اليوم وجود عدد كبير من المقاعد الجديدة، لابد أن شخصاً ما قد استخدم عصاه السحرية من جديد، لقد أصبحت أعتقد بوجود ملاك فوق ظهر هذه السفينة يستمع الى مطالبنا الصغيرة ليحققها لنا على الفور»

ورأت مارلين بلير متمدداً فوق أحد المقاعد في استرخاء تام بالقرب من حافة السفينة وقد أغلق عينيه، وأخذ قلبها يخفق بعنف وهي تنظر إلى وجهه الدقيق الملامح وقد لوحته أشعة الشمس، ورغم أنه كان مغلق العينين إلاّ ان تعبيرات وجهه كانت توحي بأنه يفكر في شيء ما.

وأقنعت مارلين نفسها وهي تنظر إليه بأنه يجب أن تقاوم شعورها الوليد ناحيته، خاصة بعد معرفتها بأمر الخاتم الذي لا يمكن أن يكون قد اشتراه إلاّ ليقدمه كهدية زواج لصديقته التي تدعى مارفا بمجرد عودته إلى بلدته.

وكانت شارون تجلس في المقعد المجاور له ورأت مارلين تقف بمفردها بعدما جلست السيدة لو على أحد المقاعد في الظل، فابتسمت وهمست بشيء



لبلير، وبدلاً من أن يرد على ابتساماتها فتح عينيه ونظر حوله وما أن رأى مارلين حتى نهض عن مقعده فوراً وأشار إليها بالانضمام إليهما.

ولكن مارلين تظاهرت بأنها لم تره وأدارت له ظهرها ولكنها فوجئت بيده القوية تمسك بذراعها وتجذبها وهو يقول:

«أعرف أنك رأيتني وأنا أشير لك، تعالي يا آنسة ميتلاند، سأتنازل لك عن مقعدي»

وحاولت التنصل من قبضته وهي تقول:

«لا...شكراً، إن معك الآنسة ماكدويل التي ستعمل على مؤانستك.ولا أستطيع اقحام نفسي عليكما، كما لايمكنني الاستيلاء على مقعدك، ولذلك أرجوك أن تتركني وسأبحث عن مقعد آخر»

ولكن بلير لم يتركها تذهب وقال في تصميم واضح:

«ستأتين معي، ولن أدعك تقومين بدور الضحية وأنت في عطلتك»

وكان بلير يتحدث إليها في استياء واضح، ولما أصرّت على الذهاب قال لها محذراً في صوت منخفض:

«لا تلفتي الأنظار إلينا، ولاداعي للمشاكل»

ونظرت إليه في دهشة وهي تقول:

«إنك تتهمني بمحاولة خلق المشاكل مع أنك أنت الذي تحاول فرض إرادتك عليّ إنني أحب الهدوء ولا أحب المشاكل كيف تسيء الظن بي إلى هذا الحد»

وشعرت مارلين بأنها تود الانفجار في البكاء، فقد سادها أن يقول لها بلير ذلك. ولكنها وجدت نفسها تتبعه حيث قدم إليها مقعده لتجلس عليه وجهاً لوجه مع شارون التي أخذت ترمقها بغيظ وحقد.

وحاولت مارلين من جديد الاعتذار وهي تقول:

«ولكن ياسيد بارون إنني أفضل الآ...»

ولكن شارون انتفضت واقفة وهي تقول لبلير:

«إنك طيب جداً يابلير حتى تتنازل عن مقعدك لفتاة، ومهذب جداً كما لا يمكن أن يكون كذلك أي رجل انكليزي»

ثم وضعت يدها على كتفه وقالت وهي تبتسم له في ود:

«ولكن يجب أن أذهب لأغير ثيابي وأضع شيئاً خفيفاً.»

ثم نظرت ببرود إلى مارلين وأضافت:

«ولا أدري كيف يمكن للآنسة ميتلاند أن تضع كل هذه الثياب في مثل هذا الجو الحار.»

ونظر بلير إلى مارلين وكانت ترتدي قميصاً أبيض من القطن الخفيف وسروالاً ضيقاً أسود اللون، فبدا عليه الاعجاب وهو ينظر إليها.

وبعد أن ذهبت شارون جلس بلير في المقعد المجاور لمارلين والتفت إليها وهو يبتسم وسألها:

«هل تستمتعين بأشعة الشمس؟»

فهزت مارلين رأسها بالايجاب. فأضاف قائلاً:

«إنني أراهنك على أنك ستتهمينني بأنني بعثت برسالة إلى السماء ليصبح الجو جميلاً، إذ أنني أبدو في نظرك إنساناً خارقاً.»

وضحكت مارلين وهي تشعر باسترخاء تام وهي تجلس إلى جانبه، وأخذت تنظر إلى صفحة النهر وقد انسابت فوقها السفن وامتدت على ضفة النهرالمزارع الخضراء تتوسطها المنازل البيضاء وانتشرت مزارع الكروم في كل مكان.

وقال بلير وقد لاحظ اهتمامها:

«إن هذه المنطقة معروفة بمزارع الكروم.»

وأخذ يحدثها باستفاضة عن أنواع الكروم المختلفة التي يستخلص منها الشراب... وكيف يتم عصر العنب وتخميره. فنظرت مارلين إليه في دهشة وهي تقول:

«يبدو أنك تعرف الكثير عن الكروم وكيفية الحصول على الشراب.»

فضحك بلير وهو يقول:

«إنني لا أملك مزرعة للكروم، إذا كان هذا ماتفكرين فيه، كل ما في الأمر أنني قرأت كثيراً عن هذا الموضوع من باب الاهتمام فقط ولأنني أعرف هذه المنطقة جيداً.»



«إذن فأنت تعرف هذه المنطقة جيداً!»

وابتسم بلير وهو يقول:

«مازلت تحاولين استدراجي لمعرفة طبيعة عملي.»

ثم هز رأسه وهو يضيف:

«إن أسئلتك مكشوفة جداً يا آنسة ميتلاند، رغم أنك تحاولين استخدام ذكائك في صياغتها.»

فاحمرّ وجه مارلين واعتذرت له. ولكنه قال ضاحكاً:

«في أي حال هذا لايضايقني، في الحقيقة أجد فضولك هذا مسلياً.»

فسألته مارلين:

«ولكن متى يجمعون الكروم؟»

«في الخريف، وتبدأ هذه العملية باحتفال قومي.»

وسمعت مارلين صوت سيلاس يناديها، ثم رأته يتجه إلى حيث الجالس، وكان ذلك إيذاناً بإنهاء لحظات التفاهم الذي بدأ يسود بينها وبين بلير الذي كان يتولاه الغضب عند رؤيته سيلاس.

ووقف سيلاس أمامها وأمسك بيدها وهو يجذبها لتقف قائلاً:

«أود التقاط صورك هنا لتظهر وراءك مزارع الكروم. هيا ارتدي القميص الأصفر الذي اشتريته لك والسروال الذي يناسبه، وأرجوا أن تظهري أكبر قدر من جسدك الذي لفحته الشمس لتظهري أنك تقضين إجازتك وتتمتعين بحمامات الشمس.»

فقالت مارلين وقد ساءها برود بلير:

«ولكن ماذا يهم إذا كان جلدي قد لفحته الشمس أم لا. ألم تقل إن هذه الصور ستنشر في الصحيفة وهذا يعني أنها لن تظهر ملونة؟»

وظهر الارتباك على وجه سيلاس للحظة ولكنه رد بسرعة:

«حتى في هذه الحالة فإنه يمكن لأي شخص أن يلاحظ إذا كان لون البشرة داكناً أم لا.»

ثم أضاف وهو يستحثها على الذهاب:

«والآن أسرعي بالذهاب.»

ونظرت مارلين إلى بلير وهي تقول:

«إنني آسفة ياسيد بارون ولكن...»

فهز بلير كتفيه كمن لايهمه الأمر وانتفض واقفاً وهو يقول:

«اذهبي ياآنسة ميتلاند حتى يمكنك الحصول على بعض المال من عملك كنموذج، فمن الطبيعي أن تسعي إلى ذلك، فأنت مدرّسة موسيقى بسيطة وخطيبك الموسيقي مثلك لايمتلك الكثير من الأموال.»

وبينما كان بلير يبتعد سأل سيلاس مارلين في دهشة:

«عمّ يتحدث هذا الرجل، وماذا يعني بحصولك على بعض المال، هل يعتقد أنني أدفع لك أجراً؟»

«نعم... ولكنني لن أقول له الحقيقة فهذا ليس من شأنه.»

وبعدما ارتدت مارلين الثياب التي اختارها لها سيلاس اتخذت وضعاً على حافة السفينة لتظهر وراءها مزارع العنب.

ووقف بلير ينظر إليها ببرود تام وقد أطلّت من عينيه نظرة إعجاب بها كأنثى ولكنها لم تنطو على الكثير من الاحترام.

وصاحت شارون التي كانت تقف إلى جانب بلير تطلب من سيلاس أن يتخذها نموذجا له، ولكن سيلاس ابتسم قائلاً:

«آسف ياعزيزتي...إنك جميلة فعلاً، ولكنك تفتقدين الشيء الذي أبحث عنه.»

فسألته بغيظ

«وهل تمتلك الآنسة ميتلاند هذا الشيء؟»

«بالطبع ياعزيزتي... وأهم شيء هو أنها لاتدرك ذلك.»

وتقدّمت شارون لتقف إلى جانب سيلاس وهي تسأله:

«ألست جذابة؟»

فانحنى سيلاس يقبلها فوق وجنتها وهو يقول:

«إنك جميلة ياصغيرتي... ماذا تريدين أكثر من ذلك؟»

فاستطردت شارون تسأله وكأنها طفلة صغيرة مما أثار ضحك الآخرين:

«مادمت جميلة، لماذا لاتأخذ لي بعض الصور؟»



«لأنك كما قلت لاتمتلكين هذا الشيء المعين الذي تمتلكه مارلين.»

وأثار قول سيلاس ضحك الرجال الذين تعالت أصواتهم تؤيده في هذا الرأي فابتعدت شارون وقد ظهر الاستياء على وجهها.

أما بلير فقد وقف ينظر إلى مارلين وهو يستند إلى أحد المقاعد وقد علت وجهه ابتسامة ساخرة ثم أدار لها ظهره متعمداً.

وبعد الانتهاء من التصوير كانت الشمس قد توسطت كبد السماء، وأصبح الجو حاراً فخفف الركاب من ملابسهم بعض الشيء، وارتدت النساء ملابس السباحة، واختارت مارلين ثوب السباحة الذي اشتراه لها سيلاس ويشبه جلد الفهد.

وكانت مارلين تعرف تماماً رأي بلير فيها عندما يراها على هذه الصورة ولكنها أرادت أن تظهر له وتثبت لنفسها أن رأيه لايهمها في شيء، وأنها حرة تفعل ماتشاء.

وعندما صعدت مارلين إلى سطح السفينة التفتت إليها أنظار الرجال وهم يبدون استحسانهم ولكنها تماسكت حتى وهي تستمع إلى صفير الاستحسان الذي انطلق من فم سيلاس عندما رآها.

وجلست على أحد المقاعد الخالية واستلقت في استرخاء تام وقد أغمضت عينيها.

وبينما هي كذلك شعرت بحركة إلى جوارها ففتحت عينيها فرأت بلير بارون وقد جلس في المقعد المجاور لها، وقد خفف من ملابسه فبدا نصفه الأعلى عارياً، وظهرت بشرته وقد لوحتها الشمس لتكتسب لوناً برونزياً جذاباً، وبدت رجولته واضحة في عضلاته القوية وكتفيه العريضتين والشعر الكث الذي غطى صدره.

وجاهدت مارلين لتخفي انفعالها إزاء هذا الرجل الذي يستلقي في استرخاء إلى جانبها.

وأدار بلير رأسه ببطء ناحيتها والتقت نظراتها ثم أخذت عيناه تتفحصان كل جزء من جسمها بطريقة استفزازية وقحة، ثم نظر في عينيها من جديد، وانتظرت مارلين في لهفة أن يقول شيئاً، ولكنه اكتفى بأن يقول:

«إنك تؤذين نفسك بجلوسك هكذا في الشمس بدون أي غطاء.»

فردّت في تحدٍ:

«ولكنك تفعل الشيء نفسه.»

«هذا حقيقي، ولكن هناك فرق، فأولاً أنا لا أجلس شبه عارٍ لأعرض جسمي للشمس...»

ثم أضاف وعيناه تتفحصان جسمها من جديد:

«وللناس... وثانياً لأن بشرتي تعرّضت من قبل للشمس، بينما لم تتعرّض بشرتك لشيء.»

ثم أضاف وهو يبتسم في خبث:

«أقصد لأشعة الشمس طبعاً.»

ثم قطب قليلاً وهو يطلب منها أن تضع عليها المزيد من الثياب.

فانفجرت مارلين قائلة:

«أرجوك التوقف عن إصدار الأوامر إليّ، في أي حال أفضل البقاء كما أنا، وأنا على استعداد لتحمل النتيجة.»

فأغمض بلير عينيه وهو يقول:

«سترى ياآنسة ميتلاند، في أي حال إنك تسمحين لصديقك المصور أن يصدر إليك الأوامر.»

فاحمرّ وجه مارلين غضباً وردّت قائلة:

«فيما يختص بعمله فقط كمصور.»

«وهو بدون شك يدفع لك مبلغاً مجزياً مقابل ذلك.»

وساد بينهما بعد ذلك صمت قطعته السيدة لو التي سحبت أحد المقاعد لتجلس إلى جانبها وقالت تحدث مارلين:

«تبدين جذابة جداً ياآنسة ميتلاند. إن السيد هاردلي يهنىء نفسه لأنك قبلت العمل معه، ويقول إنه سيجعلك معروفة في جميع أنحاء العالم.»

فهزت مارلين كتفيها وقالت ضاحكة:

«كيف يجعلني معروفة؟ إن صوري لن تظهر إلا في صحيفة محلية.»



«حسناً، هذا مايقوله ياعزيزتي.»

ثم تمددت السيدة لو على مقعدها وهي تقول:

«أشعر بالارهاق الشديد، إن صوت ماكينات السفينة، التي تبدأ العمل في الخامسة صباحاً، يؤرقني ويؤرق معظم الركاب، أليس كذلك ياآنسة ميتلاند؟»

«أحياناً، وخاصة عندما أستيقظ في هذا الوقت المبكر فإنني لاأستطيع النوم من جديد.»

ثم انحنت السيدة لو قليلا لتحدث بلير:

«ومارأيك أنت ياسيد بارون؟ هل تستطيع النوم وسط هذه الضوضاء؟»

فابتسم بلير وهو يجيب:

«نعم يمكنني ذلك، لولا هذه الفتاة الصغيرة التي تحتل الحجرة الملاصقة لحجرتي، فإنها تظل تتحرك وتتقلّب كثيراً.»

فقالت مارلين في حدة:

«إنني آسفة، ولكن الأمر ليس بيدي ولولا صوت ماكينات السفينة الذي يوقظنا في هذا الوقت المبكر...»

فقاطعتها السيدة لو وهي تتساءل:

«هل أنتما متجاوران، أعتقد أنه يمكن لأي واحد منكما أن يسمع مايدور في حجرة الآخر فإن الحيطان بين الحجرات رقيقة للغاية.»

فقال بلير:

«رقيقة إلى الدرجة التي أعتقد فيها أنني بشيء من التركيز يمكنني أن أرى أي شيء تفعله الآنسة ميتلاند.»

فضحكت السيدة لو وهي تقول:

«إنك رجل خبيث، وأعرف ماتفكر فيه.»

وشعرت مارلين في هذه اللحظة بأنها تود قذف بلير بأي شيء، ويبدو أنه قرأ مايدور بذهنها فقد رفع يديه في حركة تمثيلية ليحمي وجهه.

وبعد فترة وصلت السفينة إلى نقطة خطرة في مجرى النهر وكان من المعتاد أن

تستعين السفينة بمرشد لتمر بأمان وسط الصخور التي تكثر في هذه المنطقة. ووقف الركاب فوق السطح يشاهدون المركب البخاري الصغير الذي يستقله المرشد وهو يقترب من السفينة.

ورأت مارلين المرشد وهو يصعد إلى ظهر السفينة وقد تقدم منه بلير بارون وصافحه وبدا كأنه يعرفه حق المعرفة.

وبينما كانت السفينة تمر أمام إحدى الصخور، أخذ الدليل يقص عليهم الأسطورة التي ارتبطت بهذه الصخرة وكيف أن عروس البحر كانت تجلس عليها تمشط شعرها وهي تغني بصوت عذب مما كان يدفع البحارة إلى الانجذاب تجاه الصخرة حيث يلاقون حتفهم غرقاً.

وبينما وقفت مارلين تحدق في الصخرة العالية سمعت صوت بلير بجانبها وهو يقول:

«أليست هذه الأسطورة لطيفة؟»

ثم اقترب منها وهو يضيف:

«لو أنني أعطيتك مشطاً لتمشطي به ضفائرك.»

ورفع يده وأخذ يمر بأصابعه خلال شعرها ثم أخذت يده تتسلل ببطء لتستقر على ظهرها وهو يقول:

«فهل تغرين الرجال... حتى أنا...ليلاقوا حتفهم»

فابتسمت مارلين وهي تجيب:

«لا...ليس أنت ... فأنت ليس من السهل إغراؤك. أنت كما يبدو لي تتحكم تماماً في مصيرك ويمكنك في أية لحظة قطع أية علاقة تربطك بأية فتاة.»

«هكذا... ببساطة تتهمينني بأنني لامشاعر لي... وبأن مايحركني دائماً ليس الحب وإنما الرغبة العابرة؟ هل يمكنني أن أعرف ماذا فعلت حتى تكون هذه فكرتك عني؟»

ولم تدر مارلين بماذا تجيب، فإن بلير لم يفعل أي شيء، ولم يتصرف أي تصرف يمكن أن يدفعها لقول ذلك، ولكنها لاتثق به إلى الدرجة التي يمكن أن توجه له فيها أي اتهام بدون دليل أو جريمة ارتكبها.



وجاءها من جديد صوت بلير يقول:

«حسناً يا آنسة ميتلاند، هل تراجعين نفسك لتدركي أن اتهاماتك تقوم على غير أساس، اعترفي بأن تجربتك المحدودة لم تمكنك من التعرف على رجل مثلي، وأنك لاتعرفين من الرجال إلاّ من كان على شاكلة خطيبك.»

فاندفعت مارلين تقول:

«إنه ليس خطيبي.»

«ولكنك قلت ذلك للسيدة لي؟»

«إن دوغلاس وأنا... نحن... نحن نحب بعضنا بعضاً ونعتزم في أحد الأيام...ربما...»

فقاطعها بلير مكملاً:

«الزواج... أليس كذلك؟»

فالتفتت مارلين إليه وهي تقول:

«أرجوك أن تكفَّ عن هذه المناقشات السخيفة.»

«لقد كنت أنت البادئة بها، وأحاول فقط ايضاح موقفي ومعرفة سبب مشاعرك السيئة نحوي.»

«ولكنني لا أشعر تجاهك بأية مشاعر سيئة؟»

«إذن لماذا توجهين إليّ مثل هذه الاتهامات؟»

وشعرت مارلين بالاضطراب ولم تجد ماترد به على بلير فاستأذنته في الانصراف لتغيير ثيابها استعداداً للغداء.

ووصلت السفينة إلى بلدة روديشيم وهي بلدة جميلة، وقال سيلاس لمارلين وهو ينظر إلى أحد التلال المرتفعة التي أقيم فوقها نصب تذكاري:

«مارلين، أريد التقاط بعض الصور لك فوق قمة هذا التل، ستستقل القطار الكهربائي لنصل إلى القمة، فأرجو ياعزيزتي أن ترتدي التنورة الحمراء التي اشتريتها لك والقميص الذي يفتح من الأمام.»

وقال فيليس موجهاً كلامه إلى مارلين:

«لا بد أنك تحصلين على مبلغ مناسب لقاء عملك مع سيلاس.»

ونظرت مارلين إلى سيلاس وهي تتوقع منه أن يوضح لفيليس الأمر وكيف أنها لاتحصل منه على أية أموال ولكنه لم يفعل بل التفت إلى مارلين قائلاً:

«إياك أن تذهبي إلى قمة التل بدوني ياعزيزتي، فلا بد أن أصورك هناك»

«حسناً... ولكن تذكر أنني أقضي عطلتي»

وشعرت مارلين باستياء لأن سيلاس جعل الجميع يعتقدون أنه يدفع لها أجراً مقابل عملها معه، وخاصة أن بلير بارون واقف بالقرب منها ولا بد أنه سمع المناقشة وتأكد الآن أنها تعمل مع سيلاس مقابل الحصول على المال فقط.

ومضت مارلين تصعد الدرجات الموصلة إلى التليفيريك وقد أمسك سيلاس بيدها وسار خلفها بلير وشارون، وصاحت شارون تنادي سيلاس لينتظرها، وجذبت بلير من يده ولحقا بهما، ووقفوا جميعاً في الصف ينتظرون الصعود إلى القمة.

ونظر سيلاس إلى مارلين وهو يقول:

«أرجو ياعزيزتي أن تفتحي صدر قميصك قليلاً أثناء التصوير»

فرفعت مارلين يدها إلى عنقها في حركة غريزية وقد اندفع الدم إلى وجنتيها، وكان بلير قد دفع بنفسه ليصبح بجانبها فانحنى عليها وهو يهمس في أذنها قائلاً:

«لاتتظاهري بالخجل ياآنسة ميلاند، فإن الخجل لم يكن يبدو عليك وأنت ترتدين ثوب البحر الذي لايكاد يخفي شيئاً»

«لم أكن الوحيدة التي ترتدي مثل هذا الثوب»

والتفتت مارلين تبحث عن سيلاس ولكن بلير امتدت يده وأمسكت برسغها، ثم دفعها داخل التليفيريك الذي كان قد وصل لتوه وتبعها إلى الداخل، وبعد لحظات انطلقا في طريقهما إلى القمة.

وقد تعالت صيحات الاعتراض من شارون التي كانت تريد الصعود مع



بلير وسيلاس الذي صاح قائلاً:

«يجب أن تنتظريني عند القمة يامارلين»

ووجدت مارلين نفسها تجلس وجها لوجه أمام بلير بمفردهما معلقين بين السماء والأرض وقد لفهما السكون، وشعرت بأنفاسها تتلاحق، ورفعت عينيها إلى وجه بلير فوجدته ينظر إليها فازداد اضطرابها، وحاولت تحويل اهتمامه إلى المناظر الطبيعية التي تبدو تحتهما وقالت:

«أعتقد أنك قمت بهذه الرحلة من قبل»

«نعم»

«مع ... مع صديقتك؟»

«تقصدين ماركا نعم»

وبدا على بلير أنه لايريد الاستطراد في الحديث ونظر إلى الأفق البعيد.

ثم سألها في صوت هامس:

«هل أنت سعيدة؟»

فأجابت مارلين بسرعة وبتلقائية:

«سعيدة جداً»

«هذا يبدو واضحاً»

فقطبت مارلين قليلاً وقد شعرت أنها اندفعت في الافصاح عن مشاعرها أمام بلير.

فسألها:

«لماذا تقطبين؟»

وسكتت مارلين قليلاً ثم قالت:

«لأنني...»

ولكنها توقفت عن الحديث، كان من الصعب عليها أن تصف مشاعرها لهذا الرجل الغريب الجالس أمامها، وأشاحت بوجهها، ثم سمعت صوت بلير وهو يتحرك من مكانه وشعرت بيده تمسك بذقنها وتدير وجهها نحوه، وتسارعت دقات قلبها وقد أخذ يقترب منها ثم ضمها الى صدره في عناق طويل.

وتركها بلير وهي تشعر باضطراب شديد وقال لها هامساً:

«أما زلت مقطبة، هل تريدين مني معانقتك مرة أخرى لأزيل هذه التقطيبة؟ استرخي وحاولي الاستمتاع بوقتك فأنت في عطلة، ولا أعتقد أنك تعترضين على عناق يتبادله رجل وفتاة صغيرة جميلة.»

فقالت مارلين وقد امتقع وجهها:

«ما كان يجب أن تفعل ذلك، فإنني لا أكاد أعرفك.»

«لا... لا... لاتقولي ذلك فإنني أشعر أننا نعرف بعضنا طوال حياتنا... أرجو ألا تلوميني، فأنا لم أستطع المقاومة، فما أنا إلا رجل.»

وسادت فترة صمت قطعها الضجيج والضحك من الركاب الذين كانوا يقفون عند محطة النهاية في انتظار الهبوط إلى أسفل التل.

# ٦ ـ لن نعيش مرتين

ما أن وصل التليفيريك إلى محطة النهاية حتى هبط منه بلير وساعد مارلين النزول، ثم جذبها سريعاً وقد أحاط كتفيها بذراعيه ليبتعدا عن المحطة قبل وصول سيلاس وشارون.

وقال بلير يستحثها:

«تعالي... سنذهب معاً لمشاهدة النصب التذكاري.»

«ولكن ياسيد بارون.»

«إن اسمي بلير.»

«ولكن يجب أن أنتظر سيلاس فقد دعوته.»

«بل ستأتين معي.»

ووجدت مارلين نفسها تتبعه وهما يصعدان الدرجات المؤدية إلى النصب التذكاري المقام على قمة التل... ووقفا معاً يشاهدان المناظر الطبيعية الرائعة الممتدة عند سفح التل، وكان المنظر خلاباً وقد بدا النهر وهو ينساب متعرجاً بين المزارع الخضراء المترامية، وانعكست اشعة الشمس على مزارع العنب التي انتشرت في كل مكان.

وأحاط بلير خصرها بذراعه وهو يضغط عليه بقوة، وشعرت بقلبها يدق بعنف متمنية لو أنه يظل بجانبها، ولكنها كانت في الوقت نفسه خائفة لأن مشاعرها كانت تزداد عنفاً يوماً بعد يوم تجاه هذا الرجل، رغم معرفتها أنها لاتعدو أن تكون رفيقة سفر بالنسبة إليه. خاصة أنه لابدّ يفتقد صديقته التي يحبها ويريد قضاء وقت ممتع مع أية فتاة ترغب في ذلك.

وتنبهت مارلين على صوت شارون وهي تنادي بلير ناظرة إلى مارلين في غيرة:

«بلير، لماذا لم تأخذني معك؟ ولماذا لم تنتظرني عندما وصلت إلى القمة؟»

جذب بلير مارلين بقوة لتلتصق به ثم نظر إليها قائلاً:

«لا أدري ماذا أقول، إن هذه الصحبة الجميلة ربما جعلتني أسهو قليلاً.»

ثم جاء سيلاس ومعه آلة التصوير وقال محدثاً مارلين:

«هيا يامارلين تعالي معي، أريد أن ألتقط لك بعض الصور عند النصب التذكاري.»

ولكن بلير لم يدعها بل ضغط على خصرها وهو يقول:

«بل ستبقين معي يامارلين.»

فرفعت مارلين نظرها إليه وودت لو أنه كان يحبها ليفهم من نظرات عينيها إنها لاتريد أن تبتعد عنه. ولكن كيف له أن يفهم ذلك وهو لايحبها؟

وحاولت مارلين الابتعاد عنه راجية أن يقدر موقفها وقالت له:

«لقد وعدت سيلاس بالذهاب معه ولايمكنني أن أتخلى عنه هكذا.»

فتركها بلير فجأة وكأنه يريد أن يدفعها بعيداً عنه، ونظرت إليه فرأته ينظر إليها في سخرية وقد تبدل حاله تماماً واختفت نظرة الود من عينيه لتحل مكانها نظرة قاسية.

ودفع سيلاس يد مارلين وهو يقول ضاحكاً:

«أرجوك ياعزيزتي، لا بدّ أن تلفت صورك نظر الرجال لأن الزوج هو الذي يدفع ثمن الملابس للزوجة. تعالي هنا لتقفي على هذا الدرج.»



وجذبها سيلاس من يدها فالتفتت إلى الخلف قائلة في رجاء:

«بلير..»

ولكن شارون قاطعتها في غيظ:

«اذهبي معه لتكسبي قوتك.»

ثم التفتت إلى بلير قائلة:

«تعال معي يابلير لنشاهد المناظر الطبيعية.»

ووقفت مارلين أمام سيلاس ليلتقط مايريد لها من الصور. وحاولت أن ترسم ابتسامة على شفتيها وأن تبدو طبيعية ولكنها رغماً عنها كانت تشعر بالقلق وهي تفكر في بلير وشارون وتسائل نفسها: ماذا يفعلان في هذه اللحظة؟

وبعد أن انتهى سيلاس من التقاط الصور نزلا إلى أسفل التل حيث وجدا بلير وشارون وقد سبقاها وجلسا إلى إحدى الموائد المتناثرة في المكان.

جلست مارلين بمفردها بعد ان استأذنها سيلاس لالتقاط المزيد من الصور، وراحت تراقب بلير وشارون التي بدت سعيدة للغاية وقد استحوذت على بلير. ورغم أن بلير رآها تجلس بمفردها فإنه لم يحاول أن يدعوها للانضمام إليهما بل تعمد إظهار المزيد من الاهتمام بشارون.

وبعد العشاء طلب سيلاس من مارلين الذهاب إلى المدينة للتجول في طرقاتها وتناول الشراب. فحاولت الاعتذار لشعورها بالصداع، ولكنه لم يترك لها فرصة للافلات منه فجذبها إلى الخارج قائلاً لها:

«يجب أن تعيشي حياتك. فإننا لن نعيش مرتين.»

ونظرت مارلين إلى الخلف فرأت بلير مستنداً إلى حافة السفينة يراقبها.

وبعد جولة في طرقات المدينة دخلا إحدى المقاهي. وكان الضوء خافتاً وقد ازدحم المكان بالرواد من الشباب، وانطلق صوت الموسيقى صاخباً، وصوت الضحكات يتعالى.

ووضعت مارلين كأسها أمامها شاعرة بالقلق متمنية لو أنها لم تحضر إلى هذا المكان.

وأخذ سيلاس في احتساء الكأس تلو الكأس وحاولت أن تمنعه ولكنه لم يستمع إليها فجلست في مكانها تراقب الجميع الذين بدا عليهم المرح الزائد وقد بدأ الشراب يفقدهم توازنهم.

ونظرت مارلين إلى سيلاس بجانبها فوجدته فاقد الوعي ألقى برأسه فوق المائدة فانتابها الفزع حين اكتشفت فجأة أنها وحيدة في هذا المجتمع الغريب عنها، لاتعرف شيئاً من اللغة الألمانية حتى يمكنها التفاهم مع أحد، وفكرت مارلين في مغادرة المكان ولكن كيف تترك سيلاس على هذه الحالة وكيف تعود بمفردها إلى السفينة في هذا الوقت المتأخر.

نظرت مارلين من النافذة في يأس وهي تفكر في مخرج لها من هذا المأزق، وفجأة لمحت وجهاً من وراء زجاج النافذة وسرعان ما فتح باب المقهى ودخل بلير بارون واتجه صوبها قائلاً بصوت غاضب:

«لقد بحثت عنك طويلاً حتى وجدتك.»

ثم نظر باحتقار إلى سيلاس وهو يقول:

«مارلين... أخرجي فوراً من هذا المكان... سأتولى أنا أمره.»

فترددت مارلين وهي تقول:

«ولكنني لن أترك سيلاس.»

فنظر إليها نظرة أفزعتها وقال:

«افعلي ماآمرك به... الوضع لايسمح بمثل هذه المواقف... وما كان يجب على هذا المصور السكير أن يحضرك إلى مثل هذا المكان... كان عليك أن تكوني أكثر تعقلاً.»

ثم أشار برأسه صوب الباب وهو يأمرها مرة ثانية بالخروج فوراً.

ولم يكن أمام مارلين مجال للخيار فاندفعت خارجة من المقهى ووقفت تنتظر بلير في الخارج، وبعد قليل خرج من المقهى محاولا بمعاونة شخص آخر مساعدة سيلاس للوقوف على قدميه، وما أن رأى الرجل مارلين حتى انحنى لها وترك سيلاس عائداً إلى المقهى.



وترنح سيلاس وكاد يسقط فتقدمت مارلين لتسنده، ولكن بلير صاح طالباً منها أن تبتعد عنه، ولكنها رفضت ذلك، ومشى ثلاثتهم ببطء شديد باتجاه السفينة التي ما أن وصلوا إليها حتى هرع أحد الركاب وساعد بلير للصعود بسيلاس إلى السفينة ووضعه في غرفته.

وبعد أن وضع بلير سيلاس في فراشه انحنت مارلين فوقه لتحل له رباط عنقه. ويبدو أن بلير اغضبه ذلك فطلب منها الابتعاد عنه، ولكن سيلاس أمسك بيد مارلين ووضعها فوق صدره وهو يغمغم قائلاً:

«قبليني ياحبيبتي... تعالي... لقد فعلت ذلك من قبل فلماذا الخجل!»

ورفعت مارلين عينيها إلى بلير خائفة مترددة وقالت بصوت خافت:

«إن هذا ليس صحيحاً... إنه يعتقد قطعاً أنني فتاة أخرى.»

ومد سيلاس يده من جديد فأمسك برأسها وجذبها نحوه بقوة حتى لامست شفتاها شفتيه... وفجأة امتدت يدا بلير لتجذباها بقسوة جعلتها تصرخ من الألم... وحاولت التخلص من قبضته ولكنه أمسك بذراعها بكل قوة وهو يدفعها نحو الباب في غضب.

فصاحت مارلين قائلة:

«إنه في حاجة إلى المساعدة... ولا يمكن أن أتركه هكذا... من يدري ماذا يمكن ان يحدث له!»

«هذا ليس من شأنك.»

ثم أضاف في سخرية:

«مالم... مالم تكن علاقتك بهذا الرجل تعطيك الحق في البقاء إلى جانبه.»

فاندفعت الدموع إلى عيني مارلين وقالت:

«إنك تعرف أن هذا غير حقيقي... يجب أن تعرف...»

فقاطعها محاولاً كبح جماح غضبه:

«كل الدلائل تشير إلى عكس ذلك.»

فنظرت إليه مارلين وهي تنتحب قائلة:

«كيف يمكنك أن تسيء الظن بي إلى هذا الحد؟»

«هذا الحديث ليس مجاله هنا، ولكن سيكون لي لقاء معك في وقت آخر لنبحث هذا الأمر.»

ونظرت مارلين إلى سيلاس بشفقة وهو مستلق على فراشه لاحول له ولا قوة.... ولاحظ بلير نظرتها إليه فأمسك بذراعيها من جديد ودفعها إلى الباب. فنظرت إليه ترجوه أن يترك ذراعيها، ولكنه لم يتركها إلاّ بعد أن دفع بها إلى خارج الغرفة.

وبعد أن خرجت سألته عما سيفعل معه. فأجابها قائلاً:

«كما فعلت معك من قبل تماماً.»

«تعني... ستغرقه بالمياه الباردة! هذه قسوة منك. إنه في حالة سيئة... دعني أبقى معك.»

وفجأة أمسك بلير بكتفيها وقد تملكه غضب جنوني وأخرجها بقوة جعلتها تندفع بسرعة في الممر لتهوي بعد ذلك على الأرض.

وبينما كانت تحاول النهوض التفتت إلى بلير فرأته يراقبها بغضب بدون أن يحاول مساعدتها أو حتى الاعتذار لها، ثم أغلق باب الغرفة بعنف وتركها.

وفي اليوم التالي قررت مارلين عدم الانضمام إلى الرحلة المتجهة إلى هيدلبرغ . وعندما دخل سيلاس إلى قاعة الطعام في موعد الافطار كان يبدو مرهقاً للغاية وحين وصل إلى المائدة التي يجلس إليها بلير توقف، وسمعته مارلين يقول:

«أشكرك جداً يابلير على مافعلته معي... وآسف لما حدث، ولكنك تعرف مثل هذه الأمور.»

فرد عليه في برود:

«كان يجب أن تفكر في أمر الفتاة التي معك.»

وشعرت مارلين باستياء للطريقة التي يتحدث بها بلير عنها وسالت نفسها: ألا تعني بالنسبة إلى بلير شيئاً إلاّ مجرد فتاة، كما يقول لسيلاس



مجرد رفيقة سفر!

ولكن سيلاس اعتذر له من جديد ثم اتجه إلى مقعده. ونظر إليه غيليس قائلاً:

«تبدو مرهقاً للغاية.»

وسألته باميلا عما إذا كان سيشترك في الرحلة إلى هيدلبرغ فغمغم سيلاس قائلاً: إنه لابد أن يذهب لالتقاط بعض الصور فربت غيليس على ظهره وهو يقول موجهاً حديثه إلى مارلين:

«لاتخشي شيئاً يامارلين سنعيده إليك سالماً... سنعيده إليك أحسن مما كان... وتأكدي أننا سنفعل ذلك حتى لو اضطررنا إلى تكبيله بالأغلال.»

وهزت مارلين كتفيها في عدم مبالاة ولاحظت أن بلير ينظر تجاههم فتأكد لها أنه سمع حديث غيليس ورمقها بنظرة حادة جعلتها تشعر بالغضب والذنب معاً.

وجلست مارلين تحتسي قهوتها وهي تفكر فيما إذا كان بلير سيشترك في الرحلة أم لا، بالنسبة لشارون فستذهب مع والديها ولكن بلير لم يشر في حديثه ما إذا كان سيذهب أم لا.

وتوقفت السفينة في ميز لمدة ساعة لاتاحة الفرصة لمن يريد مشاهدة المدينة من الركاب، وكانت أشعة الشمس حارقة فقررت مارلين النزول إلى الشاطىء لشراء قبعة وزيت لوقاية بشرتها من الشمس.

ولم تكن مارلين تعرف أي شيء عن المدينة، كما لم تكن معها خريطة للاستعانة بها، هذا إلى جانب أنها لا تعرف اللغة الألمانية حتى يمكنها التفاهم مع أحد.

وسارت مسافة طويلة قبل أن تعثر على أحد المحلات. واشترت منه القبعة التي تحتاج إليها ثم سارت في الشارع الرئيسي، وأخيراً عثرت على صيدلية دخلتها لشراء زيت البشرة.

واستغرقت وقتاً طويلاً لتشرح للبائعة ماتريده، وتوجهت البائعة لاحضار

زجاجة الزيت ونظرت مارلين إلى ساعتها وشهقت بصوت عال فقد اكتشفت أنه لم يتبق سوى دقيقة واحدة على موعد إقلاع الباخرة.

واندفعت خارجة من الصيدلية لاتلوي على شيء، وتوقفت في الطريق لاتدري أي اتجاه تسلكه للعودة إلى السفينة.

وبينما هي في ترددها توقف أمامها فجأة تاكسي ثم فتح الباب ورأت بلير بارون يندفع خارجاً ثم أمسك بذراعها يدفعها إلى داخل التاكسي مندفعاً خلفها طالباً من السائق الاسراع إلى الشاطىء.

ونظر بلير إليها قائلاً:

«ماذا تفعلين هنا بحق الجحيم؟ هل تنتظرين من السفينة أن تحضر إليك؟ ألم تعرفي أن موعد الاقلاع سيكون في العاشرة تماماً؟

فغمغمت مارلين تعتذر له وقالت وهي تستند بظهرها إلى المقعد:

«لم أكن أعرف المدينة... وكنت أريد شراء قبعة لأن رأسي تؤلمني.»

فقال بلير وهو يترك ذراعها:

«قلت لك ذلك من قبل.»

«كيف عرفت أين تجدني؟»

«لقد خمّنت... سألت عنك فأبلغتني السيدة لو أنها شاهدتك تغادرين السفينة، ولما تأخرت استعد ربان السفينة للاقلاع ولكنني أبلغته أنك لم تحضري ونزلت إلى المدينة للبحث عنك.»

ثم أضاف بلير في صوت أكثر هدوءا:

«يجب أن تشكريني لأنه لولاي لكنت الآن تائهة وسط هذه المدينة الغريبة عنك... في أي حال إنني لم أسمع منك بعد أية كلمة شكر.»

«أشكرك ياسيد بارون لأنك أنقذتني.»

فالتفت بلير إليها رافعاً حاجبيه في دهشة وهو يقول:

«بالامس كنت تناديني بلير»

فهمست مارلين باسمه مجرداً.



وتوقفت السيارة أمام السفينة وطلب بلير منها الاسراع بالصعود. ثم لحق بها بعد أن دفع للسائق أجره... وقال شيئاً باللغة الهولندية للبحارة فيما بدا لمارلين أنه اعتذار، فنظروا إليها وهم يبتسمون... ثم اتجهت مارلين إلى حجرتها.

وبعد فترة صعدت إلى سطح السفينة ووقفت في أعلى الدرج تبحث بعينيها عن السيدة لو.. ولما رأتها السيدة لو أشارت إليها فاتجهت نحوها وكانت تجلس إلى جانب بلير الذي ما أن رآها قادمة حتى نهض عن مقعده وقدمه إليها.

جلست مارلين في الوسط بين بلير والسيدة لو التي ابتدرتها قائلة:

«تبدين رائعة في هذه القبعة الجديدة.»

«لقد ابتعتها لتوّي من المدينة.»

فقال بلير في سخرية:

«كانت على وشك التخلف عن اللحاق بالسفينة.»

فقالت مارلين في حدة:

«كانت فكرتك أن أشتري قبعة.»

فربت بلير على يدها الموضوعة فوق المقعد قائلاً:

«حسناً... حسناً... يجب أن اعترف بأنني اشعر بالامتنان لأنك تنازلت قليلاً عن سوء ظنك بي وقبلت نصيحتي.»

فحدقت مارلين في وجهه وهي تسائل نفسها: هل هي حقاً متحاملة ضده... ربما كان ذلك صحيحاً. ولكن لماذا؟ هل لأنه لم يخبرها عن طبيعة عمله؟ ولماذا يخبرها؟ عرفت منه أنه رجل أعمال وكان ذلك كافياً لاشباع فضولها، ولكنها تريد أن تعرف كل شيء عن حياته... عن مغامراته العاطفية... عن الفتاة التي يعتزم الزواج بها!

واشتركت السيدة لو في الحديث فقالت في دهشة:

«الآنسة ميتلاند تسيء الظن بك ياسيد بلير! إنها أعقل من أن تسيء الحكم على أي شخص بهذه الطريقة.»

ولكن بلير ضحك ناظراً إلى مارلين وقال:

«إذا حكمنا عليها من تصرفاتها على ظهر السفينة فيمكن القول بأنها متهورة وعنيدة.»

فالتفتت مارلين إليه ورمقته بنظرة ثاقبة فانفجر ضاحكاً وقد أسعده أن يثيرها فقالت:

«إذا كنت لا أعجبك إلى هذا الحد فلماذا جئت تبحث عني هذا الصباح، ولماذا لم تجعل السفينة تبحر بدوني حتى تستريح من وجودي معك؟»

«شعرت بالشفقة على قائد السفينة يا آنسة ميتلاند، كان متوتراً للغاية لأنه كان يخشى التأخر عن موعده بسبب غباء إحدى المسافرات التي ليس لديها أي شعور بالمسؤولية أو إحساس بالوقت... ويجب أن تعرفي أن شركات الملاحة تدفع أجراً كبيراً في مقابل المدة التي تقضيها في أي مرفأ.»

وشعرت مارلين برغبة في البكاء فنظرت إليه قائلة:

«هل تريد مني أن أعتذر للربان، إذا كنت تريد ذلك فتعال معي.»

وانتصبت واقفة ولكن بلير جذبها لتجلس من جديد وقال:

«لا داعي لذلك، سأبلغه اعتذارك.»

فسألته السيدة لو مبتسمة:

«هل تعرف الربان ياسيد بلير؛ لقد رأيتك تتحدث إليه مراراً من قبل.»

«لقد قابلته من قبل.»

ثم التفت إلى مارلين في تحد وهو يقول:

«أعتقد أنك ستضيفين هذا إلى الملف الخاص بي.»

وساد الصمت بعد ذلك بينهم ثم قطعته السيدة لو قائلة:

«لم أكن أعرف أن نهر الراين مزدحم إلى هذه الدرجة بالسفن.»

فقال بلير:

«إنه يعتبر من أكثر الأنهار ازدحاماً بحركة السفن. فهو الممر المائي الرئيسي في أوروبا.»

ثم قالت السيدة لو من جديد:



«من المدهش حقاً ألا تقع حوادث مع وجود كل هذا العدد الضخم من السفن فوق صفحة النهر.»

«إن البحارة لديهم الخبرة الكافية التي تمكنهم من تفادي مثل هذه الحوادث.»

«لقد لاحظت أن السفينة ترفع أعلاماً من ألوان مختلفة وتغير هذه الأعلام بصفة مستمرة.»

«هذا حقيقي. فإن هذه الاعلام ذات الألوان المختلفة تستخدم في النهر مثل إشارات المرور في الطرقات. وكل لون من هذه الأعلام له دلالة خاصة تفهمها السفن الاخرى المارة.»

فنظرت إليه السيدة لو في تعجب قائلة:

«يبدو أنك تعرف الكثير عن هذا الأمر ياسيد بارون.»

«إنني مهتم بمعرفة كل شيء عن نهر الراين.»

ثم استطرد من جديد يشرح لها دلالة كل لون من ألوان الأعلام التي ترفعها السفن.

فقالت السيدة لو وهي تنهض عن مقعدها:

«إن الأمر يبدو شائقاً جداً.»

ثم نظرت إلى السماء وقالت:

«أشعة الشمس حارقة... بعد إذنكما سأبحث عن مكان تحت المظلة، وأعتقد أنه يجب عليك يا آنسة ميتلاند أن تحترسي من اشعة الشمس فإن بشرتك تبدو ملتهبة.»

فنظر بلير إلى ظهر مارلين العاري وهو يوافق السيدة لو على رأيها.

ولكن مارلين استمرت في تحديها لبلير وقالت:

«شكراً، ولكنني أفضل البقاء كما أنا.»

فابتسمت السيدة لو وهي تقول لبلير:

«إن الشباب لايستمعون إلى نصيحة الكبار ياسيد بارون.»

وأعقب ذهاب السيدة لو فترة من الصمت الطويل قطعها صوت الجرس

معاً موعد تناول القهوة.

شعرت مارلين بالارتياح ونهضت عن مقعدها وهي تأمل ألاّ يتبعها بلير ولكنه تبعها إلى البهو قائلاً:

«اجلسي أنت وسأحضر لك معي قدحاً من القهوة.»

وبعد قليل عاد بلير يحمل قدحين من القهوة وبعض الشطائر... وقال وهو يجلس:

«هل ذهب صديقك المصور إلى هيدلبرغ؟»

فهزت مارلين رأسها بالايجاب. فعاد بلير يقول:

«وهل تحسنت حالته إلى الدرجة التي تسمح له بذلك؟»

«قال إن عليه الذهاب لالتقاط بعض الصور.»

«هل سبق وذكر أمامك اسم الصحيفة التي يعمل فيها؟»

فنظرت إليه مارلين مستغربة وقالت:

«لم أحاول معرفة ذلك.»

«ألست مهتمة حتى بمعرفة الصحيفة التي ستظهر بها صورك؟»

فهزت مارلين كتفيها بعدم اهتمام واجابت:

«ليس تماماً... فأنا كما تعرف مدرسة موسيقى واهتمامي الأساسي منصب على الموسيقى لأنها هي أهم شيء في حياتي.»

فنظر إليها مبتسماً وهو يضيف قائلاً:

«ألا يسعدك أن تفكري في أنه ربما تصبحين عارضة أزياء مرموقة بعد نشر هذه الصور، وخاصة أنك جميلة وقوامك رشيق؟»

فنظرت إليه مارلين متسائلة:

«هل هذه مجرد مجاملة لفتاة عابرة ستفترق عنها غداً او ربما بعد عدة أيام؟»

«لا... إنني لا أقول غير الحقيقة.»

ونهضت مارلين عن مقعدها فسألها بلير:

«أين تذهبين؟»



«إلى حجرتي لأكتب رسالة.»

«لخطيبك؟»

«لقد سبق أن قلت لك أكثر من مرة أن دوغلاس ليس خطيبي... إنه مجرد صديق.»

«صديق حميم جداً... أو هكذا فهمت من حديثك عنه.»

«حسناً... نعم، إنه صديق حميم... ولكنني أريد كتابة رسالة إلى والدي إذا كان لابدّ أن تعرف.»

واستأذنت مارلين وانصرفت... وفي حجرتها، وقفت تنظر من النافذة وهي تفكر في بلير، وكانت صورته تتراقص أمامها فوق صفحة المياه. وشعرت مارلين بالأسى لأن الرحلة قاربت على الانتهاء، ولن تراه بعد ذلك.

جلست أمام المكتب وبدأت في كتابة رسالة لوالديها فاستغرقت في الكتابة ولكنها لم تذكر حرفاً واحداً عن بلير. وبعد فترة دق الجرس من جديد معلناً موعد تناول الغداء.

اعيد تنظيم صالة الطعام لأن معظم الركاب ذهبوا في الرحلة... ورأت مارلين السيدة لو التي أشارت لها بالجلوس إلى جانبها، وعندما توجهت مارلين نحوها فوجدت بلير يجلس معها... وعندما رآها قال مبتسماً:

«لقد جمعنا القدر معاً على الغداء يا آنسة ميتلاند... فهل تقولين إنك لست جائعة وتغادرين المكان؟»

فقالت السيدة لو:

«لا بدّ أنها جائعة... ولا أعتقد أن وجود رجل لطيف مثلك بجوارها سيمنعها من تناول الطعام.»

فقالت مارلين بعدم مبالاة:

«أشعر بالجوع الشديد إلى درجة أنني لا أهتم بمن يجلس إلى جانبي.»

وأخذت السيدة لو تنظر إلى قائمة الطعام ثم قالت:

«للأسف ليس هناك مايغري... مارأيك ياسيد بارون هل يعجبك الطعام على

هذه السفينة... أعتقد أن رجل أعمال مثلك لا بدّ وأن يفضل ماهو أحسن من ذلك بكثير.»

وهز بلير كتفيه ثم التفت إلى مارلين يسألها عن رأيها بدورها:

فقالت مارلين:

«الطعام هنا عادي. وكم كنت أود أن يقدم لنا طاهي السفينة بعض الأطباق الهولندية أو الألمانية من باب التغيير.»

فاضطجع بلير في مقعده وهو يقول:

«أما أنا فأجد الطعام هنا محتملاً... ولو أنني كما تقولين ياسيدة لو معتاد على ماهو أفخر من ذلك بالنسبة إلى مجال عملي.»

وانتهزت مارلين هذه الفرصة لمحاولة الايقاع به ومعرفة وظيفته فسألته بصورة مفاجئة:

«وما هو عملك ياسيد بارون؟»

فرّد وهو يبتسم ابتسامة عريضة:

«الصناعة ياآنسة ميتلاند... التجارة... أية أعمال.»

. ثم ابتسم وكأنه يريد أن يقول لها: لن أمكنك من الايقاع بي.

وبعد الغداء صعدت مارلين الى سطح السفينة حيث جلست بمفردها. بينما جلست السيدة لو تتحدث مع إحدى الصديقات... وأخذت مارلين تجول ببصرها بحثاً عن بلير فرأته يقف مع الربان في غرفة القيادة.

فجلست تراقبه فرأته يمسك بعجلة القيادة ويقود السفينة لبعض الوقت بينما جلس الربان على أحد المقاعد في استرخاء تام يدخن سيكارة... ودهشت مارلين لذلك إذ كيف يسمح لأحد الركاب بقيادة السفينة حتى ولو كان ذلك لفترة قصيرة... وأثار ذلك اهتمام مارلين التي اقتربت من غرفة القيادة لتراقبه عن كثب. وعندما رآها بلير ترك القيادة للربان وخرج ليقف معها وهو يتضاحك قائلاً:

«أنت تتجسسين... وتحاولين أن تعرفي ماذا أفعل؛ هل تبلغين ذلك للمسؤولين؟ ألا



زلت تعتقدين أنني رجل شرير؟»

ولكن مارلين لم ترد عليه، بل ابتعدت عنه. وكانت تشعر بالحرج لأنها ادركت تماماً أنه ليس من حقها التدخل في شؤونه.

وسمعت مارلين مكبر الصوت على السفينة يعلن أن السفينة التي يستقلونها ستتقابل بعد دقائق مع سفينة أخرى تابعة لنفس الشركة في طريقها لتقوم بنفس الرحلة وهي عائدة. وعندما اقتربت السفينتان إحداهما من الأخرى أخذ الركاب يلوحون بأيديهم. ووقف ربان السفينة الاخرى يراقبهم بدون اهتمام... ولكنه ما أن لمح بلير حتى رفع يده بالتحية ثم أصدر بعض الأوامر للبحارة فاطلقت السفينة ثلاث صفارات كانت أشبه بالتحية التي تطلقها السفن لتحية كبار الزوار الذين يفدون على ظهرها.

وابتسم بلير وهو يرد التحية ملوحاً بيده...وما أن ابتعدت السفينة حتى التفت إلى مارلين التي وقفت تنظر إليه في دهشة شديدة ... ثم ابتسم لها في سخرية مبتعداً عنها.

# ٧ ـ عاطفة بدون رحمة

في المساء عاد الركاب الذين اشتركوا في رحلة هيدلبرغ وعلى مائدة العشاء جلست مارلين مع سيلاس وغيليس وباميلا كالمعتاد. وقد انهمك ثلاثتهم في الحديث عن مشاهداتهم في الرحلة ولم يلحظوا عدم إقبال مارلين على الطعام، رغم أن قائمة الطعام كانت متنوعة. وطرأ عليها تغيير واضح بعد الملاحظات التي أبدتها السيدة لو على مائدة الغداء.

وحاول سيلاس استبقاء مارلين بعد العشاء فوافقت على مضض للبقاء معه قليلاً لتناول كأس من الشراب، ثم استأذنت للانصراف، لأنها كانت تريد الانفراد بنفسها في حجرتها.

وجلست مارلين في حجرتها تراجع تصرفاتها في هدوء وقد زال انفعالها. ولماذا انفعلت؟ في قرارة نفسها تعرف الاجابة على هذا السؤال وإن كانت لاتريد الاعتراف بذلك، كانت تشعر بالاستياء لأن شارون تعمد بكل وسيلة للاستحواذ على بلير وكأن ذلك من حقها، و بلير من جانبه لا يبدي أي اعتراض على ذلك.

وجلست مارلين أمام المكتب حيث وضعت الرسالة التي كتبتها لوالديها في الظرف وكتبت بطاقة لدوغلاس طبعت عليها صورة للسفينة.



وغادرت مارلين حجرتها متجهة إلى صندوق البريد الموجود على ظهر السفينة لتضع الرسائل، وعند عودتها سمعت صوت بلير يناديها قائلاً:

«ياآنسة ميتلاند»

ولكن مارلين لم تلتفت إليه واستمرت في سيرها متظاهرة بأنها لم تسمعه. فعاد يناديها من جديد ولكنها لم تتوقف أيضاً، وتوجهت إلى باب حجرتها تفتحه فسمعته يقول:

«مارلين»

فتوقفت في مكانها وقد تزايدت ضربات قلبها كما يحدث دائماً عندما تسمعه ينطق باسمها، ولم يكن بإمكانها في هذه اللحظة تجاهل ندائه. فالتفتت إليه قائلة بلهجة حاولت أن تبدو باردة:

«ماذا تريد ياسيد بارون؟»

وبدا عليه الاستياء لتجاهلها له فسألها:

«ماذا حدث؟»

فأجابت في جفاء:

«لم يحدث شيء ياسيد بارون.»

«هل يمكنني أن أطلب منك الدخول إلى حجرتك؟»

«أظن أنني لا أستطيع منعك من ذلك. أليس هذا صحيحاً؟ حتى لو أوصدت بابي فإنه بإمكانك أن تفتحه بالمفتاح الذي تحتفظ به دائماً في جيبك»

«ما هذا الذي تقولينه؟»

«حسناً. هل تنكر أنك استخدمت مفتاحاً أخرجته من جيبك في فتح باب حجرة سيلاس عندما احضرته أمس إلى السفينة مترنحاً؟»

«تعتقدين أنك ذكية ودقيقة الملاحظة.»

ثم أضاف في لهجة ساخرة:

«وبالطبع أضفت ذلك إلى قائمة المعلومات التي تمكنت من جمعها عني والتي تدينني في نظرك.»

ثم تبعها إلى الداخل واغلق الباب واستند إليه بظهره ونظر إليها قائلاً:

«من يدري، ربما أكون في نظرك مجرماً متخفياً في ثياب احد ركاب السفينة.»

نظر اليها وقد ضاقت عيناه ثم اضاف:

«ألا تشعرين بالخوف وانت معي في هذه الحجرة بمفردك.»

ثم أخذ يقترب منها ببطء:

«أو إذا اقتربت منك هكذا. هل تصرخين لطلب النجدة.»

ورفعت مارلين يدها إلى عنقها وهي تود أن تقول له نعم سأصرخ ولكنها صرخات مكتومة لأنني أخاف منك. أخاف من تأثيرك عليّ. وأخاف من قدرتك على تفجير انفعالاتي وإيقاظ الرغبة المحبوسة داخلي والتي لم يقو أي رجل من قبل على إيقاظها. ولكنها لم تنطق بحرف واحد بل تراجعت إلى الخلف وسقطت فوق فراشها.

ووقف بلير أمامها واضعاً يديه على خصره ثم تقدم منها وانحنى فوقها وأمسك بذراعيها فحاولت التخلص من قبضته لأنها شعرت بألم شديد بسبب التهاب بشرتها إلى درجة أنها لم تكن تحتمل ملامسة أي شيء لها.

ويبدو أن بلير أعتقد أنها لاتطيق وجوده بجانبها أو ملامسته إياها فابتعد عنها وقد بدا عليه الضيق وقال:

«حسناً... اطمئني، لن أقترب منك وسألتزم حدودي معك، ولن أفعل كما يفعل صديقك المصون. كل ما أردته منك هو أن أقرضك شيئاً.»

ثم أضاف وهو يتجه إلى الباب:

«ولكن... ربما لا تريدين اقتراض شيء مني أنا بالذات.»

فرفعت مارلين يدها كأنها تحاول منعه من الخروج وصاحت قائلة:

«ياسيد بارون، أرجوك. ماهو هذا الشيء الذي تريد إقراضي إياه؟»

وتوقف بلير في مكانه عند الباب قائلاً:

«نظراً لأنني أعرف حبك للموسيقى وكيف تفتقدين الاستماع إليها، فكرت في أن أقرضك هذا الراديو الصغير.»

ونظرت اليه مارلين وتمنت لو قبلت هذا العرض منه، ولكنها في الوقت نفسه، لا تريد أن تكون مدينة لهذا الرجل بأي شيء، وكفاها أنه أقرضها حقيبته



سابقاً، فتظاهرت بعدم المبالاة وهي تقول:

«إن هذا كرم منك، ولكنني أشكرك، فإن الموسيقى تعتبر من الكماليات ويمكنني الاستغناء عنها لمدة أسبوعين.»

ثم أضافت وهي تنظر إليه في تحد:

«ومهما تحدثت عن حبي للموسيقى فإنني لم اصل إلى حد الادمان بعد.»

وظهر الغضب الشديد على وجه بلير، ولكنها تماسكت ولم تتحرك من مكانها وهي تراه يخرج في انفعال شديد من الحجرة.

ولم تستطع مارلين النوم في تلك الليلة، كانت بشرتها في حالة من الالتهاب لم تستطع معها احتمال ملامسة الفراش أو الغطاء لها، فأخذت تتقلب في سريرها، ولما لم تستطع احتمال الألم نهضت واتجهت إلى النافذة، وكانت الساعة الثانية صباحاً، وقفت قليلاً تراقب أنوار مدينة مانهم منعكسة على صفحة المياه، وبدأت تشعر بالانتعاش وهي تستنشق هواء الليل فعادت إلى فراشها من جديد.

ولما يئست من النوم جلست على حافة الفراش وهي لا تدري ماذا تفعل، وفجأة سمعت طرقاً عنيفاً على باب الحجرة وسمعت شخصاً يناديها، ثم فتح الباب ودخل بلير إلى الحجرة وأضاء النور قائلاً بانفعال شديد:

«ماذا حدث لك، لماذا لاتذهبين للنوم وتدعينني أنام أنا أيضاً؟»

وكان بلير يقف وظهره إلى الباب وقد ظهر نصفه الأعلى عارياً فبدا لون بشرته البرونزي الداكن وبدت عضلاته القوية التي تنطق برجولته، فشعرت مارلين بأنها تود لو ارتمت بين ذراعيه كان شعوراً جديداً لم تحس به من قبل في حضور أي رجل.

واقترب بلير منها وكانت ترتدي قميص نومها الشفاف ولكنه لم يلتفت إلى ذلك بل نظر إلى بشرتها الملتهبة وصاح في غضب:

«ماذا فعلت بنفسك يافتاة. طبعاً لن تستطيعي النوم وأنت على هذه الحالة. ايتها الغبية ألا تدركين أنه من الممكن أن تؤذي نفسك بتعرضك لأشعة الشمس لفترة طويلة؟»

ومدّ بلير يده ليلمس بشرتها ولكنها تراجعت في ألم، ولم يثنه ذلك عن

محاولته فوضع يده في رفق على كتفها لمعرفة مدى التهابها ثم انفجر قائلاً:

«إنك حقاً غبية وسخيفة، ألم احذرك من الجلوس تحت أشعة الشمس لمدة طويلة. ناوليني بعض الكريم أو الزيت لأضعه على بشرتك.»

فخفضت مارلين عينيها وقالت:

«ولكن ليس عندي كريم أو سائل للبشرة، وهذا ماكنت أحاول أن أشتريه من الصيدلية عندما كنت في ميز ولكن الوقت لم يسمح بذلك.»

«ولماذا لم تخبريني، كان من الممكن أن أطلب إلى ربان السفينة الانتظار قليلاً حتى تشتري ماتريدين.»

وهز بلير رأسه وكأنه يئس منها تماماً ثم قال:

«في أي حال سأحضر لك بعض المرهم الذي قد يفيدك.»

وغادر بلير الحجرة ليعود بعد قليل حاملاً وعاء من المرهم وقال وهو يزيل غطاء الوعاء:

«ألا تعرفين أن زيادة تعرضك للشمس قد يسبب لك حروقاً من الدرجة الثانية. والآن أريني ظهرك لاعرف مدى إصابتك.»

فمدت مارلين يدها لتتناول الرداء الموضوع بجوارها على المقعد ولكن بلير جذبه منها وهو يقول:

«لاداعي لهذا الخجل. لايمكنني معرفة مدى إصابتك إذا وضعت هذا الروب عليك، والآن أرجوك أن تلفي لأرى مايمكن عمله.»

وأطاعته مارلين على مضض ووضع يده حول خصرها ثم أدارها ليرى ظهرها وقال:

«لحسن حظك أن الحروق ليست خطيرة.»

ثم أدارها من جديد لتقف في مواجهته ونظر إليها قائلاً في لهجة حادة:

«ولكنني أرى آثار كدمات على جسدك. من فعل بك ذلك؟»

فهمست مارلين وهي تتحاشى النظر اليه:

«أنت.»

فأمسك بلير بذقنها ورفع وجهها لتنظر إليه وهو يسألها مندهشاً:



«أنا فعلت ذلك بك! متى وكيف يمكنني أن أكون بهذه القسوة وأنت على هذه الحال؟»

«لقد فعلت ذلك أمس وأنت تدفعني خارج حجرة سيلاس، وكيف لك أن تعرف أنني تألمت مادمت لم أخبرك بذلك.»

«وهل جعلك ذلك تكرهينني؟»

فهزت مارلين رأسها وهي تطبق شفتيها بشدة حتى لايخونها لسانها وينطق بما يعتمل في نفسها، كيف تكرهه وهي تحبه. لقد اعترفت لنفسها في هذه اللحظة بما حاولت أن تتجاهله دائماً وهي أنها تحبه... نعم إنها تحب هذا الرجل الذي يقف أمامها الآن ينظر في حيرة إلى عينيها.

ثم سألها بلير وقد لاحظ اضطرابها:

«والآن ماذا حدث؟ تبدين حزينة.»

«إنه... إنه مجرد شعوري بالألم.»

وأخذ بلير بعض المرهم ورفع ذراعها محاولاً وضعه على بشرتها فصاحت مارلين معترضة:

«لا... لا... يجب ألا تفعل هذا.»

«ماذا تقولين... يجب ألاّ أفعل، هل تتحدينني؟»

«ليس من المفروض أن تفعل ذلك فهو لايليق.»

«لايليق! لماذا؟ ربما لأنني كما يقول الانكليز لست خطيبك مثلاً... هل تعتقدين أنه من غير اللائق أن يساعد رجل فتاة على تخفيف آلامها لأنها غير مخطوبة له أو لأنه لم يهمس في أذنها بكلمات الحب ووعود الزواج! وهل من غير اللائق أيضاً، في اعتقادك، أن يحتضن رجل فتاة جذابة مثلك ويأخذها بين ذراعيه هكذا؟»

وضمها بلير إليه في عناق فجر بدون رحمة عواطفها التي جاهدت طويلاً لاخفائها.

وعندما تركها جلست على حافة الفراش واضعة يديها على عينيها. فقال بلير في صوت هامس:

«والآن، هل اقتربنا بعضنا من بعض إلى الدرجة التي تتيح لي أن أضع المرهم على بشرتك بدون اعتراض لامعنى له؟»

والتزمت مارلين الصمت وامتثلت في سكون لأمره وهو يطلب إليها الوقوف، وضع المرهم على بشرتها بعناية فائقة ويده تتحرك في بطء على جسدها. وكان كلما لامست أصابعه عنقها يرفع وجهها إليه وينظر إلى شفتيها طويلاً ولكنه لم يحاول أن يعانقها مرة أخرى، وكم كانت تتمنى ذلك.

وبعد أن انتهى نظر إليها قائلاً:

«والآن... هل يمكنك النوم، ويمكنني أنا أيضاً أن انال قسطاً من الراحة؟»

فردت عليه معتذرة:

«إنني آسفة يابلير فقد أزعجتك.»

«أما أنا، فلست آسفاً على ما حدث.»

وبعد أن اطمأن إلى دخولها في فراشها وقف ينظر إليها قليلاً ثم ابتعد متجهاً إلى الباب ولكنها نادته فتوقف والتفت إليها فقالت:

«بلير... هل يمكنني أن أقترض منك... الراديو.»

وسكت قليلا ثم قال:

«ربما.»

وترك الحجرة.

وفي الصباح سمعت مارلين طرقاً على باب حجرتها، ثم دخل بلير بعد أن أذنت له بذلك.

وتقدم منها وقدم إليها الراديو وهو يقول متضاحكاً:

«هذا هو الراديو الذي رفضت قبوله من قبل، لاتكتمي فرحتك الآن بالحصول عليه.»

«كان لطيفا جداً منك يابلير أن تحضره إليّ، ولكن... ربما... رغبت أنت في الاستماع إليه في بعض الأحيان.»

«عندما أريد ذلك فإنني سأدعو نفسي إلى حجرتك.»

ثم أضاف وهو ينظر إليها:



«لايمكن أن تشعري بالخجل مني الآن... وعلى فكرة كيف حال بشرتك؟»

«أشعر بتحسن كثير، شكراً على المرهم إن تأثيره سحري.»

«ربما يكون كذلك، أو ربما أكون أنا ساحراً متخفياً.»

فسألته مارلين فجأة:

«إنك لست طبيباً أليس كذلك؟»

«لقد خانك التوفيق من جديد، لا لست طبيباً ولا أمت إلى مهنة الطب بأية صلة. إنني مجرد رجل أعمال كما أخبرتك مراراً من قبل.»

ثم مد بلير يده فأدار الراديو قائلاً:

«والآن يمكنك الاستماع إلى الموسيقى بينما ترتدين ثيابك للنزول إلى صالة الطعام، وأعتقد أنك ستشتركين في الرحلة المتجهة إلى بادن بادن بعد ظهر اليوم.»

فقالت وهي تتظاهر بعدم المبالاة:

«نعم، وهل ستذهب انت أيضاً؟»

«نعم... هل يمنعك ذلك من الذهاب؟»

فأجابت وهي تحاول إخفاء سعادتها:

«ولماذا؟ لاأعتقد أنني سألاحظ حتى وجودك.»

«مازلت على وقاحتك حتى بعد أن أعرتك هذا الراديو!»

فابتسمت مارلين وقالت وهي تتظاهر بالاستماع إلى الراديو:

«في أي حال، ستكون مشغولاً في هذه الرحلة بالفتاة التي من الواضح أنها صديقتك.»

«تقصدين شارون، نعم... قد يكون ذلك صحيحاً.»

فرفعت نظرها إليه ويبدو أنه لاحظ نظرة الغيرة التي أطلت من عينيها فسألها بدهشة:

«هل من المعقول أنك تشعرين بالغيرة منها!»

«أشعر بالغيرة! كيف وأنا بصحبة سيلاس، فإنه سيذهب معي ليلتقط لي بعض الصور، وسيتاح لي رداء فخماً للمساء لأظهر به.»

«سيكون من حقك الاحتفاظ به بعد الانتهاء من التصوير! إنه يدفع لك بسخاء

هذا المدعو سيلاس هادلي وهو الذي لم تعرفيه إلا منذ بضعة أيام»

فأجابت مارلين:

«منذ أسبوع... في الوقت نفسه الذي عرفتك فيه»

وأضافت تحدث نفسها: وبعد أسبوع آخر سنفترق ولن نرى بعضنا بعضاً مرة أخرى.

وفي الرحلة إلى بادن بادن جلست مارلين إلى جانب سيلاس كما جلس بلير إلى جانب شارون، ومرت بهم السيارة في الطريق إلى المدينة وسط العديد من التلال التي غطتها الأشجار، كما مرت بالغابة السوداء المليئة بالأنهار ومساقط المياه.

وعندما وصلوا في النهاية إلى المدينة كانت الشمس ساطعة وجذب سيلاس مارلين من يدها مشيراً إلى أحد المباني الأثرية قائلاً:

«أريد التقاط أول صورة لك هنا»

ثم اتجه معها إلى سوق المدينة، وبينما كانا يبتعدان معاً عن المجموعة التفتت مارلين إلى الخلف، فرأت بلير يتبعها بعينيه التي أطلّت منها نظرة تغني عن أي كلام جعلتها تشعر بالمهانة.

وابتاع لها سيلاس رداءاً رائعاً للمساء ارتدته على الفور بعد أن طلب سيلاس من البائعة الاحتفاظ بثيابها التي كانت ترتديها حتى تنتهي من التصوير وتعود لأخذها.

والتقط لها سيلاس عدداً من الصور في وسط المدينة وعلى شاطيء النهر وفي الحديقة وإلى جانب النافورة الأثرية. وكانت مارلين تبحث بعينيها في كل مكان تذهب إليه عن بلير ولكنها لم تتمكن من رؤيته.

وبعد الانتهاء من التصوير اتجه سيلاس ومارلين من جديد إلى المحل التجاري حيث بدّلت ثيابها ووضعت لها البائعة الثوب الجديد في حقيبة من البلاستيك علقتها في ذراعها.

وشعرت مارلين بالظمأ فطلبت من سيلاس التوجه إلى أحد المقاهي المكشوفة لتناول قدح من الشاي، فدخل إلى أحد المحال حيث اشترى لها زجاجة



من المياه المعدنية وأعطاها إياها وهو يقول:

«والآن سنذهب إلى الكازينو. هل ذهبت إلى مثل هذا المكان من قبل؟»

«لا... لاأريد الذهاب الآن»

وحاولت مارلين أن تبتعد عنه ولكنه أمسك بها وهو يقول:

«ولكن ياعزيزتي هذا الكازينو ليس مكاناً عادياً... إنه أقدم الأماكن من نوعه في ألمانيا وأفخمها... ويجب ألاّ تفوتنا رؤيته»

«اذهب أنت ياسيلاس أما أنا فسأنضم إلى الآخرين»

ولكن سيلاس لم يستمع إليها. وكانا قد وصلا إلى الكازينو فجذبها من يدها إلى الداخل.

وكان المكان فخماً للغاية. وقد امتدت الموائد الخضراء تحت الأنوار الخافتة ووقفت مارلين تشاهد اللاعبين وهي لاتفقه شيئاً مما يدور حولها. وتركها سيلاس تقف وحيدة وذهب ليجرب حظه على إحدى الطاولات.

وبينما كانت تقف حائرة دخل بلير بارون إلى الملهى وما أن رآها حتى ابتدرها بقوله:

«ماذا تفعلين هنا بحق الجحيم؟»

فأجابته محاولة إخفاء سعادتها برؤيته:

«لقد أحضرني سيلاس»

«وأين هو، ولماذا لايقف معك ليعتني بك؟»

فأشارت مارلين إلى الطاولة حيث يجلس سيلاس وقالت:

«إني سأنتظره»

«انتظري كما يحلو لك، ولكن ليس هنا، بل في الخارج. فهذا المكان لايليق بفتاة بريئة مثلك»

وجذبها بلير ناحية الباب فقالت معترضة:

«ولكن يابلير يجب أن أخبر سيلاس»

«انظري... إنه لن يشعر حتى بخروجك»

وبعد أن غادرا الملهى قالت مارلين إنها تشعر بالظمأ فقال بلير:

«ألم يشتر لك صديقك شراباً بعد أن أرهقك بالعمل طوال هذا الوقت؟ لقد رأيتك في الحديقة وعلى شاطىء النهر وهو يلتقط لك الصور.»

فوضعت مارلين يدها في الحقيبة البلاستيك وأخرجت زجاجة المياه المعدنية وهي تقول:

«لقد اشترى لي هذه.»

ونظر بلير إلى الزجاجة باحتقار وهو يقول:

«أعتقد أن رغبته في الدخول إلى الملهى جعلته يتجاهل فتاة تشعر بالظمأ وتطلب شراباً.»

وأخذ منها الحقيبة البلاستيك وهو يقول:

«تعالي معي، لن أكون قاسياً مثله.»

واتجها إلى أحد المقاهي المكشوفة ثم سألها وهو ينظر إلى الحقيبة عما بها فقالت:

«إنه الرداء الذي اشتراه لي سيلاس لأظهر به في الصور وهو باهظ الثمن.»

«وأعطاك سيلاس إياه؟»

«بالطبع... لقد كسبته بعملي.»

فنظر إليها نظرة قاسية وقال في سخرية:

«أنا متأكد من ذلك.»

فقالت مارلين في غضب:

«دع خيالك يصوّر لك ماتريد.»

«لقد حدث ذلك بالفعل.»

وعندما حان موعد العودة وصعد الجميع إلى الباص تمنت مارلين أن يجلس بلير إلى جانبها ولكنه اتجه إلى حيث تجلس شارون وجلس إلى جانبها... ولاحظ الدليل المقعد الخالي إلى جوار مارلين فسألها عن سيلاس.

ونهض بلير واقفاً وهو يقول إنه سيذهب لاحضاره. ولكن سيلاس صعد إلى الباص في هذه اللحظة قائلا إنه قد خسر النقود التي كانت معه.

وفي المساء... وبينما كانت مارلين تغادر صالة الطعام، طلب منها سيلاس أن تقرضه بعض المال... وفتحت مارلين حقيبة نقودها وأخرجت منها بعض



الأوراق المالية أعطته إياها وهي على يقين من أنه لن يعيدها إليها.

ومر بلير بهما في طريقه إلى البهو ونظر إليهما في احتقار شديد كأنهما متورطين معاً في عمل غير مشروع.

واتجهت مارلين إلى حجرتها وهي تشعر بالحزن لأن بلير يسيء الظن بها إلى هذا الحد... وفتحت الراديو... وبدأت أعصابها تهدأ رويداً... رويداً وهي تستمع إلى الموسيقى.

وشعرت بالظمأ فتناولت زجاجة المياه المعدنية ورفعتها إلى فمها لتشرب ففوجئت بلير يقف بباب الحجرة الذي لم يكن مغلقاً وهو يسألها:

«هل أعجبتك المياه؟»

فردت وهي تحاول إخفاء اضطرابها:

«نعم... فهي لذيذة.»

اقترب بلير وأخذ منها الزجاجة ورفعها إلى فمه فقالت:

«يجب أن تمسحها أولا فقد شربت منها.»

ولكن بلير رفع الزجاجة إلى فمه وهو يقول:

«ربما يكون ذلك أفضل...»

واقترب منها ولكنها تراجعت فأمسك بذراعها... وشعرت بأن مقاومتها تنهار تحت لمسات أصابعه فحاولت التخلص من قبضته... وشعر بلير بمقاومتها إياه فتركها وقد بدا عليه الاستياء وسألها:

«هل تنوين قضاء فترة المساء هنا؟»

«ولماذا لا؟ إنني أستمع إلى الموسيقى.»

«ولكن هل تحبسين نفسك هنا مع الموسيقى؟ في أي حال هذه الموسيقى تعجبني، فهل لديك اعتراض على بقائي معك؟»

فبدا عليها الاضطراب وقالت:

«حسناً... أنا... أنا لايمكنني أن أرفض فإن الراديو خاص بك... ولكن...»

«ولكن ماذا؟»

«ماذا يظن بنا الآخرون؟»

«وهل تهتمين حقاً بما يظنه الآخرون؟ بعد كل ما فعلته مع سيلاس وأنت مخطوبة إلى رجل آخر»

فصاحت مارلين قائلة:

«كيف تسمح لنفسك بأن تحدثني بهذه الطريقة في الوقت الذي تسمح فيه لهذه الفتاة شارون بالتقرب إليك والاستحواذ عليك بينما تنتظرك صديقتك التي تنوي التقدم إلى خطبتها في هولندا؟»

«هل أنوي ذلك حقاً؟ وكأنك تقرأين أفكاري.»

«هل يمكنك أن تنكر ذلك؟ لقد اعترفت بشراء الخاتم الثمين الذي كان معروضاً في محل المجوهرات في بروباخ وهذا الخاتم لا يمكن أن يكون إلا خاتم زواج.»

فنهض بلير عن مقعده وقد بدا عليه الغضب وقال:

«أنت على حق، فإنني أنوي تقديم هذا الخاتم إلى الفتاة التي سأتزوجها وهي كما تعرفين في أمستردام وتدعى ماريا وهي جميلة وذكية وفيها من الصفات مايتطلبه أي رجل في زوجته، وبالاضافة إلى ذلك فإن لسانها ليس سليطاً.»

«هل تعني أن لساني أنا سليط؟»

«استخلصي من حديثي ماتريدين.»

وخرج بلير من الحجرة ودخل إلى حجرته وأغلق الباب وراءه بعنف... وارتمت مارلين تبكي فوق فراشها.

R. P



# ٨ ـ النداء الصامت!

وصلت السفينة صباح اليوم التالي إلى الحدود الفرنسية. وقال المرشد إنه سيقام في المساء حفل راقص على السفينة قبل مغادرة مدينة ستراسبورغ.

وفي المساء بدأ الاستعداد للحفل الراقص وقد أخلي الجزء الأوسط من البهو من الموائد ليستخدمه الراقصون.

وأخذت مارلين تستعد للحفل فارتدت ثوب السهرة الذي اشتراه لها سيلاس وكان رائعاً وقد تخللت نسيجه الخطوط الذهبية مما جعل لونه مناسباً للون بشرتها التي لوحتها الشمس وصبغتها باللون البرونزي الجذاب.

وبعد أن اطمأنت مارلين إلى هيئتها في المرآة اتجهت إلى البهو.

وكان بلير يجلس إلى المنتصف. وما أن رآها حتى بدت على وجهه أمارات الاعجاب الشديد بها وارتسمت ابتسامة لطيفة على شفتيه، ولكن ما أن التقت عيناها بعينيه حتى اختفت هذه الابتسامة لتحل محلها ابتسامة ساخرة، واختفت من عينيه نظرات الاعجاب لتحل محلها نظرة باردة.

وكان منظر بلير جذاباً للغاية وهو يرتدي سترة سهرة داكنة اللون ونظرت إليه مارلين وتمنت في هذه اللحظة أن ترتمي بين ذراعيه وتضع رأسها على صدره العريض ولكنها أشاحت بوجهها بعيداً.

وبدخل سيلاس إلى البهو وما أن رآها حتى جذبها من يدها لتنظر إليه وقال لها:

«إنني سعيد لأنك ترتدين الثوب الذي أعطيتك إياه ياعزيزتي.»

وكان سيلاس يتحدث بصوت مسموع مما لفت الأنظار إليها، ولكنه لم يهتم ووضع ذراعه حول خصرها وهو يقول:

«تعالي لنتناول كأساً.»

وضحك فيليبس قائلاً:

«حذار أن تفقد وعيك ياسيلاس وتترك صديقتك الجميلة بدون حماية. إنها في حاجة إلى حماية من الذئاب خاصة وهي ترتدي هذا الثوب الرائع.»

فانبرى أحد الرجال قائلاً:

«أنا أعتقد أنها في حاجة إلى من يحميها منه.»

فقال سيلاس:

«لا... ليس هذا عدلاً... إنني لم ألمسك ياعزيزتي... بعد...»

وجلس بلير وحيداً أمام المقصف وهو يتفحص مارلين بنظرات قاسية والشرر يتطاير من عينيه.

وبدأت الموسيقى في العزف فأفرغ سيلاس كأسه في حلقه مرة واحدة وأسرع بجذب مارلين إلى حلبة الرقص وكان يتحرك بسرعة وبطريقة تمثيلية كأنه يريد أن يلفت الأنظار إليه.

واضطرت مارلين لمجاراته في سرعة حركاته شاعرة بالحرج لأنها كانت على يقين من أن بلير يراقبها أينما ذهبت.

والتفتت ناحية بلير بينما كانت تدور مع سيلاس فرأته كما توقعت، متجهماً ينظر إليها باستياء.

وعندما توقفت الموسيقى جذبها سيلاس من ذراعها تجاه المقصف ولكنها تخلصت منه قائلة إنها ستجلس مع السيدة لو فهز سيلاس كتفيه وتركها على أن يراها فيما بعد.

وبينما كانت مارلين في طريقها إلى حيث تجلس السيدة لو امتدت يد



بلير وأمسكتها من كتفها بقوة اضطرتها للوقوف، وجاءها صوته قائلاً:

«هل تنصرفين بهذه السرعة؟ إن السهرة لم تبدأ بعد.»

وفي هذه اللحظة عزفت الموسيقى من جديد فوضع بلير ذراعه حول خصرها وهو يضغط عليه ليقربها منه. فنظرت إليه قائلة في تحد:

«إنني أفضل عدم الرقص... شكراً.»

فنظر بلير إليها في خبث قائلاً:

«لا أعتقد أنني طلبت منك أن ترقصي.»

«لا...لم تطلب ... ولكنك تدفعني إلى ذلك.»

فنظر إليها وقد احتواها بين ذراعيه:

«الآن... تعترفين بأنني أقوى منك.»

فقالت وهي تضع رأسها على صدره:

«هذا طبيعي وأنت تتمتع بهذه القوة الوحشية.»

«نعم، إنني سعيد الحظ حقاً، لأنني أمتلك الوسيلة التي تمكنني من الحصول على ما أريد... والآن ارقصي معي في هدوء.»

وتأرجحت السفينة وهي تمر بجانب إحدى السفن الكبيرة الأخرى فتعالت صيحات الخوف المصطنعة من الراقصين، وبدا صوت شارون واضحاً ولكن بلير لم يلتفت إليها.

وترنحت مارلين لتلتصق ببلير، وعندما رفعت رأسها إليه لتعتذر وجدته ينظر إليها مبتسماً، ثم عقد ذراعيه حولها وضمها إليه بقوة كأنه يودعها قبل أن يبتعد عنها لفترة طويلة.

وفجأة تذكرت أنها ستفترق عن بلير بعد بضعة أيام فقط ربما إلى الأبد. فرفعت عينيها إليه في حزن فسألها:

«ماذا حدث؟»

شعرت مارلين في هذه اللحظة برغبة شديدة في الهرب بعيداً عنه، لأنها كانت تتعذب محاولة التغلب على مشاعرها التي لا يمكنها التعبير عنها. فقالت:

«لقد اخبرتك أنني لا أريد أن أرقص معك أنت بالذات. ألا يمكنك أن تفهم

ذلك؟»

فظهر الغضب في عينيه اللتين زاد بريقها وقال:

«أعتقد أنني فهمت جيداً.»

وتركها فجأة تقف وحيدة وسط حلبة الرقص وكأنه يتعمد إذلالها، ورآها غيليس تقف في حرج فتقدم نحوها مبتسماً:

«هل تخلّ عنك، إن بلير هذا شخصية غريبة، أعتقد أنه قاس رغم أنه يحاول أن يكون مهذباً.»

وسألته شارون التي كانت ترقص مع بلير وتصادف وجودها إلى جانبها:

«من هو الذي يحاول أن يكون مهذباً؟»

فابتسم غيليس وهو ينظر إلى بلير وقال:

«لا أستطيع أن أخبرك، وما كان يجب أن تتحديني.»

«لم أستطع أن أمنع نفسي من ذلك فقد كنت تتحدث عن بلير أليس كذلك؟»

ثم التفتت إلى بلير وابتسمت له بطريقة مثيرة وهي تسأله:

«هل تحاول أن تكون مهذباً يابلير، كم أتمنى أن اراك عندما تكون غير ذلك.»

ونظر بلير إلى مارلين وقال:

«لاداعي لاثارتي ياشارون، ولاتدفعيني لأن أفقد السيطرة على نفسي، فإنني عندما أكون غير مهذب مع أية فتاة فإن الأمر ينتهي بها إلى أن تركع عند قدمي.»

«غير معقول!»

ثم أضافت شارون وهي تنظر اليه بإعجاب:

«دعني أرى ذلك يابلير، دعني أرى.»

«لايصح أن تقول فتاة صغيرة مثل هذا الكلام لأي رجل.»

«فتاة صغيرة لقد أوشكت أن أتم العشرين من عمري.»

وبعد أن ابتعدا عنها قال غيليس لمارلين:

«هل ترين ماأعني... أعتقد أن مايقوله صحيح.»



وسمعا صوت سيلاس ينادي مارلين لتلحق به على المقصف فتركها غيليس وهو يقول:

«المصور يدعوك... ربما يريد أن يلتقط لك صورة على المقصف.»

واتجهت مارلين إلى المقصف حيث جلست بجانب سيلاس الذي قدم لها كأساً شربته عن آخره ثم قدم لها كأساً أخرى ولم ترفض فنظر إليها في دهشة متسائلاً:

«هل تحاولين إغراق همومك؟»

فابتسمت... ولم تكد تحتسي نصف ما في الكأس حتى شعرت بالغرفة تدور من حولها فدفعت بالكأس بعيداً وهي تحدث نفسها بأن الشراب لن يساعدها على أن تنسى الحقيقة وهي أنها تحب بلير بارون إلى الدرجة التي لايمكنها معها الابتعاد عنه.

واعتذرت لسيلاس بأنها تريد استنشاق الهواء النقي وانسحبت لتصعد إلى سطح السفينة برغم تحذيره إياها بأن الجو بارد في الخارج.

وعندما صعدت إلى السطح شعرت بانتعاش حين لفح الهواء البارد وجهها وكان الضوء خافتاً وأضواء الطريق تنعكس على صفحة النهر، وقفت مارلين على الحافة تراقب السفن التي تمر بالنهر، وتشاهد القمر وقد بدأ يظهر في السماء الصافية.

وفجأة شعرت بأن هناك من يشاركها وقفتها، وشعرت بقلبها يقفز من موضعه. انه بلير بارون وقف مستنداً إلى حافة السفينة يحدق في القمر وفكرت في الهرب بدون أن يراها ولكنها توقفت فجأة عندما سمعته يناديها برقة.

ثم تقدم نحوها يسألها:

«هل تشعرين بالبرد؟»

«الجو بارد... وقد حذرني سيلاس من ذلك.»

فوضع بلير ذراعيه حول كتفيها العاريتين وهو يهمس قائلاً:

«هل أدفئك بالنيران التي تعتمل داخلي، والتي من الممكن أن تشتعل بمجرد نظرة أو كلمة منك.»

ورفعت مارلين عينيها إليه فجذبها إليه واحتضنها بين ذراعيه بقوة، فتركت نفسها تسترخي في أحضانه.

وأفاقت مارلين إلى نفسها: ماذا تفعل وكيف تسمح لنفسها بإظهار حبها لهذا الرجل. وأشاحت بوجهها بعيداً. ولكنه أمسك برأسها ونظر في عينيها متسائلاً:

«ماذا حدث، ولماذا تبتعدين عني؟ إنني أقسم أنك لم تستجيبي لرجل كما استجبت لي الآن، ولا حتى خطيبك.»

ثم أخذ يهزها قائلاً:

«قولي لي إن هذا صحيح.»

فخفضت مارلين رأسها وقد استندت إلى صدره وقالت:

«إن مانفعله جنون يابلير. فبعد أيام قليلة.»

وسمعا في هذه اللحظة صوت أقدام تصعد الدرج فابتعد عنها بلير.

وأسرعت مارلين إلى حجرتها وأوصدت وراءها الباب وارتمت فوق فراشها وقد أنهكتها عواطفها وانفعالاتها.

وفي صباح اليوم التالي توجهت مجموعة من الركاب في رحلة طويلة بالباص إلى داخل الأراضي السويسرية على أن تعود في المساء. وعندما صعدت مارلين إلى الباص اتخذ سيلاس مقعده إلى جوارها وكأن هذا أصبح حقاً له.

وصعد بلير إلى الباص ووراءه شارون واتجها إلى المقاعد الخالية في الخلف. وعندما مر بلير بها حياها بطريقة اتسمت بالبرود وكأنه لم يحدث شيء بينهما أمس على سطح السفينة.

واخترق الباص بهم عدداً من القرى الفرنسية القديمة. ثم عبروا الحدود إلى الأراضي الألمانية حيث مروا بعدد من القرى الألمانية بشوارعها الضيقة. واخترقوا الغابة السوداء ووصل الباص إلى بلدة فريبورغ ونزل الركاب لمشاهدة معالم المدينة وشراء بعض الهدايا التذكارية.

وبينما وقفت مارلين في أحد المحلات تشتري بعض الهدايا لوالديها سمعت شارون وهي تصر على شراء هدية رمزية قدمتها إلى بلير قائلة:

«أرجوك أن تقبلها لتذكرك بي. وأرجو ألا تنساني أبداً. عدني بذلك.»



وأخذت مارلين تراقب شارون باستياء، وهي تضع يدها على كتفي بلير وتقف على أطراف أصابعها لتطبع قبلة على وجنته.

وبعد الظهر وصل الباص بهم إلى مدينة بازل بعد أن عبروا الحدود إلى سويسرا وأبلغهم المرشد أنهم لن يستطيعوا البقاء طويلاً في المدينة. وقال سيلاس موجهاً حديثه إلى مارلين:

«هل تأذنين لي بالتجول قليلاً لالتقاط بعض الصور وابقي أنت مع السيدة لو»

ولكن مارلين انضمت إلى غيليس وزوجته باميلا. وفوجئت ببلير يسير بجانبها وهم يتجهون إلى سوق المدينة. وقالت باميلا:

«إنني أشعر بالظمأ، بلير انت تعرف هذه المنطقة أكثر من أي شخص منا. قدنا إلى أحد المقاهي حيث يمكننا تناول بعض الشراب.»

وضحك بلير واتجه معهم إلى أحد المقاهي وهو يقول:

«في هذا المقهى ستجدون الخدمة ممتازة.»

وجلسوا إلى أحد الموائد وتقدمت المضيفة لتعرف طلباتهم. وبدا عليها أنها تعرف بلير اذ ابتسمت له ابتسامة عريضة وأخذت تتحدث معه باللغة الألمانية. وترددت في معرض الحديث كلمة فان هلدن وهو اسم الشركة التي تمتلك السفينة.

ثم التفت بلير إلى رفاقه قائلاً:

«إن المثلجات هنا ممتازة يامارلين. هل تحبينها، أم أنك تخشين على قوامك؟»

فتنهدت المضيفة التي بدا عليها أنها تعرف الانكليزية وقالت:

«ولكن قوام صديقتك رائع بالنسبة لقوامي.»

ولم يعلق بلير على قولها بل التفت إلى مارلين قائلاً:

«والآن ياصديقتي، سأطلب لك أيس كريم.»

فهزت مارلين رأسها بالموافقة. وبعد انصراف المضيفة قال غيليس موجهاً كلامه إلى بلير:

«صديقتك! لقد أخطأت في ذلك. أليس كذلك يابلير؟ أين المخلصة شارون.»

ثم نظر إلى مارلين وأضاف:

«ذهبت مع المخلص سيلاس.»

فقال بلير:

«لا، ذهبت شارون مع والديها، أما المصور فأعتقد أنه ذهب لالتقاط بعض الصور.»

ثم مدّ يده فوضعها فوق يد مارلين الممتدة فوق المائدة وأضاف:

«وفي أي حال فإنني لا أعارض في اتخاذ صديقة بديلة في غياب صديقتي مارفا أو رفيقتي في الرحلة شارون.»

وجذبت مارلين يدها بعنف فضحك الآخرون وقالت باميلا:

«إنها تشعر بالغيرة.»

فقال غيليس:

«يبدو ذلك.»

فانفعلت مارلين قائلة:

«أشعر بالغيرة! بالطبع لا.»

فضحك بلير وأجاب:

«لاتشعرين بالغيرة، وإذا قلت لك إنني لا أصدقك، فماذا تفعلين؛ إنني لا آخذ كلام أية فتاة على محمل الجد.»

وبدأ الجميع يتناولون المثلجات وقال غيليس موجهاً كلامه إلى بلير:

«يبدو أن المضيفة تعرفك يابلير!»

«نعم إنها تعرفني.»

وقالت باميلا إنها تريد الذهاب إلى السوق لشراء بعض الأشياء، وعندما اتجهوا إلى السوق أخذوا يتجولون لمشاهدة المعروضات التي كانت أسعارها مرتفعة للغاية، وأعجبت باميلا ومارلين برداء للنوم باللون الأزرق الفاتح وقال غيليس:

«لو أن معي نقوداً سويسرية كافية لاشتريت لك ذلك يا بام.»

ثم دخلوا إلى أحد المحلات حيث اشترت باميلا وغيليس بعض لوازمهما واشترت مارلين هدية رمزية لوالديها، وفجأة تنبهوا إلى غياب بلير ولكنه



ظهر من جديد وهو يحمل في يده لفافة، وسألته باميلا وهم يخرجون إلى الطريق:

«هل ابتعت شيئاً؟»

فقال مبتسماً:

«إنني سائح أيضاً، ولا أستطيع مقاومة المعروضات الجميلة. كما أن أمي التي تعيش في انكلترا تقدر المنتجات الأوروبية.»

وعندما عادوا إلى الباص كانت معظم المقاعد مازالت خالية ولم يكن سيلاس أو شارون وعائلتها قد عادوا.

وبينما كانت مارلين تتجه إلى الجلوس في مقعدها أمسك بلير بذراعها قائلا:

«أحضري حاجياتك وستجلسين معي في الخلف.»

«لا... شكراً، فأنا سعيدة حيث أنا.»

فدفعها بلير إلى الأمام بشيء من العنف وأحضر حاجياتها من فوق الرف وهو يقول:

«اتجهي إلى مقاعد الباص الخلفية.»

ولم يكن بإمكانها التراجع إلى الخلف لأنه كان يسد ممر الباص بجسده.. وعندما وصلا إلى المقعد الخلفي التفتت إليه وقالت:

«ولكن، لايمكنك أن تترك شارون بمفردها، كما أنه لايمكنني أن أترك سيلاس.»

«يمكنهما الجلوس معاً، اجلسي الآن.»

ودفعها لتجلس ثم طلب منها في لهجة آمرة ألاّ تسمح لأحد على الاطلاق بالجلوس على المقعد المجاور لها ثم تركها واتجه إلى مقدمة الباص حيث تحدث مع المرشد.

وفي هذه اللحظة صعد إلى الباص شارون ووالدها، ورغم أن بلير كان منهمكاً في الحديث إلا أن شارون وضعت ذراعيها حول عنقه، ولكنه تخلص منها برفق وقال:

«لقد كنت كريماً معك للغاية وتركت لك المقعد بأكمله في رحلة العودة، لقد غيرت

مكان جلوسي في الباص.»

وصاحت شارون قائلة إنها لاتريد الجلوس بمفردها وإنها افتقدته كثيراً.

ولكن بلير لم يتراجع عن موقفه فتركته وهي غاضبة.

واتجه بلير إلى المقاعد الخلفية حيث جلس بجانب مارلين التي رمقتها شارون بنظرة كره وغيرة.

ووصل سيلاس أخيراً وعندما نظر إلى مقعده ولم يجد مارلين صاح قائلا:

«من سرق فتاتي؟»

ثم نظر حوله فرأى مارلين تجلس في الخلف إلى جانب بلير فقال موجهاً كلامه إليها:

«إن مكانك هنا، بجانبي.»

والتفت بلير إلى مارلين رافعاً حاجبيه ونظر إليها في علامة مبالاة وهو يقول:

«هل تريدين الذهاب؟»

وكانت لحظة حاسمة وشعرت مارلين بأنها لو أجابت بالايجاب فإنها ستكون النهاية بالنسبة لأية علاقة بينها وبين بلير، كما أنها كانت تدرك أنها لو أجابت بالنفي فإن هذا سيكون اعترافاً صريحاً منها بما يعتمل في صدرها من عواطف نحوه.

وأخيرا اتخذت قرارها فهزت رأسها بالنفي، ولمحت نظرة الانتصار تطل من عيني بلير الذي أشار إلى سيلاس قائلاً:

«قولي له ذلك.»

فقالت مارلين:

«إنني آسفة ياسيلاس فإنني أشعر بالراحة هنا. إن المنظر من هنا أجمل كثيراً.»

فقال في غضب:

«افعلي ماتريدين.»

ثم جلس في المقعد الخلفي.

وارتفع صوت المرشد قائلا إن العشاء سيكون في أحد المطاعم الفرنسية



الكبيرة، ولكن قبل ذلك سيعبر الباص الحدود إلى الأراضي الألمانية ثم إلى الأراضي الفرنسية.

وفي بداية رحلة العودة كانت مارلين تجلس منزوية في حرص شديد في ركن المقعد ولكنها مع مرور الوقت بدأ التوتر يزول عنها.

وأخذت مارلين تراقب الطريق وكان الباص يمر بهم وسط طريق يطلق عليه طريق الكروم لكثرة مزارع العنب التي تمتد في تناسق جميل فوق التلال وعلى السفوح. وكانت الشمس تنحدر بسرعة إلى الأفق البعيد وبدا الضوء خافتا داخل الباص. ونظرت مارلين حولها فرأت الركاب جميعاً ينظرون إلى الخارج وقد شدهم المنظر الجميل. والتفتت إلى بلير فوجدته منشغلاً عن ذلك بالنظر إليها. وتلاحقت دقات قلبها وهي ترى النداء الصامت الذي أطل من عينيه.

ومدّ بلير يده وربت على يدها برفق وتمنت مارلين ألا يسحب يده من فوق يدها ولم يفعل. وحينئذ سمعته يقول:

«هل أنت مستعدة لتناول العشاء؟»

وكم كانت تتمنى في هذه اللحظة أن تقول له «إنني لاأشعر بحاجة إلى الطعام ولكنني أشعر بحاجة إلى لمساتك.

وتوقف الباص أمام المطعم حيث سيتناولون طعام العشاء ونزل الركاب. وكان المطعم يقع فوق أحد التلال فكان عليهم أن يصعدوا طريقاً مائلا قليلاً ليصلوا إلى المدخل.

وسبق بلير مارلين لمساعدتها في الصعود، ولكن شارون سبقتها ومدت يدها إلى بلير لمساعدتها. وبدا وكأنها لاتريد أن تترك يده ولكنه ما أن ساعدها على الوصول إلى مدخل المطعم حتى تركها وهو يدفعها برفق إلى الداخل.

ووقف بلير جانباً ليسمح للآخرين بالمرور، في انتظار وصول مارلين التي حاولت تجاهله ولكنه مد يده ووضع ذراعه حول خصرها وهو يقول:

«لم هذا الاستعجال؟»

وحاولت الابتعاد عنه وهي تقول:

«لقد اخترت شريكك على العشاء.»

«هذا صحيح، لقد اخترت شريكتي وأنا أمسك بها الآن وأنوي الاحتفاظ بصحبتها.»

فقالت معترضة وهي تحاول الفكاك من قبضته على رسغها:

«ولكنني سأجلس مع سيلاس.»

وجاء سيلاس وأمسك بيدها الأخرى وهو يقول:

«هيا ياعزيزتي، تعالي نبحث عن ركن منعزل.»

فقال بلير في لهجة قاطعة:

«إنها ستتعشى معي.»

فأخذ سيلاس يقلب النظر بينهما وهو يقول:

«ما هذا، هل هي محاولة اختطاف، منذ متى وأنتما على علاقة؟»

فابتسم بلير في فتور وهو يرد قائلاً:

«إن علاقتنا لم تكن لها بداية وحتى الآن ليست لها نهاية.»

ثم جذب مارلين من يدها واتجه بها الى المطعم.

وعندما دخلا المطعم همس بلير في أذن المضيفة بشيء فقادتهما إلى مائدة منعزلة. فأخرج بلير من جيبه بعض النقود ووضعها في يد المضيفة.

وجلست مارلين إلى المائدة في مواجهة بلير وهي تمسك برسغها قائلة:

«هل كان من الضروري أن تقوم بدور الحارس بهذا العنف.»

فابتسم بلير قائلاً:

«عنف! إذا كنت تصفينني بالعنف لمجرد أنني أمسكت برسغك، إذن ماذا تقولين عندما يظهر هذا العنف على حقيقته... في الأوقات المناسبة ومع المرأة المناسبة.»

وشعرت مارلين بالاضطراب وهي تنظر اليه فقالت باقتضاب:

«أعتقد أنه لن تكون هناك فرصة لذلك فلن تمضي سوى أيام قليلة حتى نفترق.»

فابتسم بلير ابتسامة عريضة غامضة وهو يقول:

«ستدهشين لو قلت لك إن هذا قد يحدث في أية لحظة.»

وجلست مارلين تنظر في عيني بلير وقد ظهر بريقهما في ضوء الشموع، وبدت مارلين كأنها منومة تنويماً مغناطيسياً ولا تستطيع ابعاد عينيها عن



عينيه. فلوح بلير بيده ضاحكاً أمام عينيها وهو يهمس باسمها.

فانتبهت مارلين وهي تحدث نفسها: ماذا حدث لتجلس هنا وحيدة مع هذا الرجل تحدق فيه، وكيف تسمح له بأن يملي عليها إرادته ويسيرها كما يريد!

وأفاقت مارلين إلى حركة المضيفة وهي تضع طبق الحساء أمامها، وأخذ بلير ينظر إلى قائمة المشروبات ثم انتقى نوعاً من الشراب طلب من المضيفة إحضار زجاجة منه.

وعندما انصرفت المضيفة سألته مارلين:

«إنك لم تعرف إذا كنت أحب هذا النوع، أو أريد أن أتناول أي شيء منه.»

فقال بلير بلهجة الواثق من نفسه:

«إنك ستحبينه وستشربين هذا النوع الذي اخترته.»

ثم أضاف وهو يبتسم:

«وأريد أن أطمئنك حتى لاتشغلي ذهنك بهذه المسألة. إنني أعرف الكثير عن الأنواع لأنني شربت الكثير منها وليس لأي سبب آخر.»

وأخذا يتناولان الطعام الذي كان على درجة كبيرة من التنوع والجودة، ورفع بلير كأسه قائلاً وهو يبتسم ابتسامة ساخرة:

«نخب الأيام الأربعة الأخيرة للقائنا.»

ورفعت مارلين قدحها والحزن يعتصر قلبها وهي ترده في صوت منخفض:

«أربعة أيام، لا بل خمسة.»

«لا... أربعة أيام فإنني سأغادر السفينة في أمستردام فأنا أقيم هناك. هل نسيت ذلك؟»

وقالت مارلين تحدث نفسها: أربعة أيام فقط وتبتعد عن بلير... ولكن ماذا يهم لو كانت حتى خمسة أيام، فإنها لن تراه بعد ذلك ربما إلى الأبد.

ورفعت كأسها بيد مرتعشة وهي تهمس قائلة:

«نخب الأيام الأربعة الأخيرة.»

وبدأت مارلين تشعر بالانتعاش وقد تناولت قدراً كبيراً من الشراب... وبدا لها وكأن المكان لم يعد به غيرها وغير بلير، وأخذت الأصوات تخفت من حولها،

ولم يكن يدور في ذهنها في هذه اللحظة سوى خاطر واحد وهو أنه لم يبق لها مع بلير سوى أربعة أيام فقط ولذلك فإنه يجب عليها أن تتمتع بصحبته خلال هذه الأيام القليلة إلى أقصى حد، وها هو بلير يجلس أمامها ويمكنها أن تمد يدها في أية لحظة لتلمسه، وحدثت نفسها قائلة: يجب أن أختزن من ذكرياتي معه في هذه الأيام مايكفيني لبقية عمري.

وكانت مارلين تبتسم له كلما التقت نظراتها ولم تحاول أن تسحب يدها من يده ولم تحاول أن تخفي استعدادها للاستجابة إلى النداء الصامت الذي لمحته في عينيه.

وهمس بلير قائلاً:

«إن الشراب له تأثير هائل عليك.»

وقبل أن يغادرا المائدة رفع بلير يدها إلى شفتيه وقبلها وهو يقول:

«كم أنت جميلة يامارلين.»

وعندما غادرا المطعم وضع بلير ذراعه حول خصرها وضمها لتلتصق به وهما ينتظران دورهما للصعود إلى الباص فنظرت شارون إلى بلير وهي تقول:

«كنت أعتقد أنك على وشك أن تخطب.»

فأجاب بلير مبتسماً:

«أنت على حق ياشارون، على وشك... ولكنني لم أخطب بعد.»

«وماذا عن هذا الخاتم الذي اشتريته من بروباخ؟ ألم يكن خاتم زواج؟ لقد اعترفت لي بذلك.»

«خاتم زواج! نعم.»

«وصديقتك تدعى مارفا.»

«أنت على حق في ذلك أيضاً، فإن لي صديقة تدعى مارفا دوريتوس.»

وانفعلت مارلين وحاولت الابتعاد عنه، ولكنه جذبها ليضمها إليه من جديد.

وعندما صعدا إلى الباص، كان سيلاس يجلس على مقعده وعندما مرت



مارلين بجواره مد يده وأمسك بيدها وهو يقول في صوت مترنح:

«إن مقعدك هنا.»

وتوقفت مارلين وبدا عليها التردد ونظرت إلى الخلف كما لو كانت تستنجد بلير ولكنه قال في برود:

«إن الأمر متروك لك.»

ونظرت مارلين إلى سيلاس فوجدته ينظر إليها في رجاء ولكنها تذكرت فجأة أن كل ماتبقى لها في صحبة بلير أربعة أيام فقط فجذبت يدها سريعاً من يد سيلاس وهي تقول:

«آسفة ياسيلاس إنني، إنني أفضل الجلوس في الخلف.»

واتجهت مارلين إلى المقاعد الخلفية لتجلس إلى جانب بلير الذي أشاح بوجهه بعيداً عنها وهو ينظر من النافذة.

وأخيراً اكتمل عدد الركاب وتحرك بهم الباص في طريق العودة، وأطفئت الأنوار داخل الباص ولف الظلام المكان.

وأخذت مارلين تسترق النظر إلى بلير وهي تود لو تعرف فيم يفكر، والتفت بلير فجأة فالتقت نظراتها وابتسم لها.

وشعرت مارلين ببرودة الليل تسري في جسدها، ويبدو أن بلير شعر بها وهي ترتعش فرفع ذراعه ووضعها خلف رأسها وضمها إليه وهو يسألها:

«هل تشعرين بالدفء الآن؟»

فالتصقت به مارلين ورفعت وجهها اليه وهي تقول:

«يجب ألا...»

ولكنه وضع أصبعه على فمها ليسكتها وهو يقول:

«أرجو أن تقولي لي سبباً واحداً يمنعني من ذلك؟»

«مارفا.»

فوضع يده من جديد على فمها وهو يقول:

«إنها ليست هنا، إنك أنت التي تجلسين إلى جانبي، وفي حاجة إلى أن أدفئك. وأنا على استعداد لذلك.»

ثم أضاف وهو ينحني عليها:

«ولأكثر من ذلك... إذا...»

وحاولت مارلين الابتعاد عنه ولكنه استبقاها وانساب صوت الموسيقى الحالمة ليغمرها بشعور من الاسترخاء، ولكنها لم تستطع النوم وبلير يضع ذراعه حولها... كانت تشعر بأنها في حلم جميل.

وشعرت بأنفاس بلير تلفح جبهتها وامتدت يده لترفع وجهها واقتربت شفتاه منها، وهو يحتضنها بين ذراعيه، ولم تدر مارلين كم من الوقت مر وهي مستسلمة ولكنها تنبهت فجأة إلى أنها في الباص وشعر بلير بمقاومتها له فنظر إليها وهو يقول:

«لا... لاتبتعدي.»

وانحنى عليها من جديد ولكنها قالت محاولة الابتعاد عنه:

«ولكن... ربما يرانا أحد.»

«ماذا يهم ياعزيزتي، فليس هناك قانون حتى في انكلترا يمنع أي رجل من مرافقة فتاة تبادله العاطفة.»

ثم قربها منه، ولم تحاول مارلين هذه المرة مقاومته بل استسلمت له.

وبعد أن تركها بلير وضعت رأسها على صدره مستمعة إلى دقات قلبه، ثم مدت يدها في تردد ووضعتها على صدره، فنظر إليها وأمسك بيدها وفتح قميصه ليضعها على صدره العاري وهو يضمها إليه.

وانطلقت الاحلام تحيط بعالمها فهمست مارلين وهي تزداد التصاقاً به:

«بلير... بلير...»

فانحنى عليها من جديد وهو يربت على شعرها، ثم أمسك بوجهها وأبعده عنه... وشعرت مارلين أنه يريد أن يقف بعلاقتهما عند حد معين لايتجاوزه.

وانتبهت إلى نفسها كيف تظهر عواطفها نحوه إلى هذا الحد، ولكنه هو أيضاً كان متجاوباً معها، ألم يقل لها إنها يمكنها بمجرد كلمة أو نظرة أن تشعل النيران التي تعتمل في داخله، ولقد أعطته هذه النظرة.

وعندما توقف الباص أمام السفينة استبقى بلير مارلين حتى نزل جميع



الركاب ثم غادرا الباص وسارا معاً إلى السفينة واضعاً ذراعه حول خصرها وهمس قائلاً:

«هل تريدين شراباً؟»

«لا... شكراً.»

ثم نظرت إليه وهي تضيف:

«في أي حال فإن المقصف مغلق.»

«يمكنني أن أطلب منهم فتحه.»

فابتسمت وهي تنظر إليه وقالت:

«إنك شخص له نفوذ، إذ يمكنك بإشارة من يدك أن تدفعهم إلى تلبية جميع طلباتك.»

«ربما أكون كذلك! على أي حال تعالي أقدم لك مشروباً.»

واتجها معاً إلى حجرتها ووضع بلير يده في جيبه وأخرج مجموعة من المفاتيح وضع أحدها في باب حجرتها وفتحه، وتبعها إلى الداخل بدون أن ينتظر الاذن منها بذلك، وأطفأ النور الذي كانت قد أضاءته وهي تدخل إلى الحجرة. ووضع اللفافة التي كانت بيده فوق المكتب ثم استدار إليها وأخذها بين ذراعيه، ووضعت مارلين ذراعيها حوله، وكان بإمكانه أن يحصل منها في هذه اللحظة على كل مايريد، ولكنه ابتعد قليلا وهمس في أذنها قائلاً:

«حبيبتي... لقد أحضرت لك هدية.»

ثم تركها وأحضر اللفافة التي كانت موضوعة فوق المكتب وقدمها إليها، وفتحتها مارلين بيد مرتجفة وهي تقول:

«قلت إنها لوالدتك.»

فقال وهو ينظر إليها مبتسماً:

«لا أعتقد أنه يمكنني أن أقدم إلى والدتي هذه الهدية.»

وأضاء بلير النور لتظهر محتويات اللفافة التي لم تكن سوى رداء النوم الذي أعجبت به مارلين وباميلا في بازل.

ووضعته مارلين على كتفيها وهي تصيح قائلة:

«أوه يابلير... إنه جميل... إنه رائع.»

ثم توقفت قليلاً قبل أن تضيف:

«ولكن ما كان يجب عليك شراء هذا لي. فلماذا أضع مثل هذا الرداء وأنا غير متزوجة وأنام بمفردي.»

فهمس بلير قائلاً:

«ارتديه من أجلي.»

فنظرت مارلين إليه في دهشة وهي لاتدري ماذا يعني. ولكنه استطرد يقول:

«دعيني أراك كما أود أن أراك.»

ثم نظر إليها وقد بدت عليها الحيرة والتردد وقال:

«ولكن ـ لماذا الجزع ياحبيبتي... إنك تتصرفين بطريقة لطيفة حتى الآن وأنا من ناحيتي لم تخمد عواطفي بعد بل على العكس.»

ثم أخذ منها رداء النوم وهو يقول:

«تعالي... سأساعدك على ارتدائه. أليس هذا ماتريدين؟»

وشعرت مارلين بالاستياء وهي تفكر فيما يظنه بها بلير فقالت في محاولة لتوضيح موقفها:

«بلير، إنه جميل حقاً... ولكنني لاأنتظر شيئاً منك. إنه يعجبني بالفعل ولكن، لاأستطيع أن أقبله. إنك... كما لو كنت تدفع لي أجراً...»

فقاطعها قائلاً:

«أجر الساعات التي تقضينها معي.»

ثم أضاف في لهجة قاسية:

«حسناً... يمكنك اعتبار الأمر كذلك إذا أردت. ربما تكون هذه هي طريقتك في التعامل مع الرجال. أنا لا أعترض على ذلك. كما أن عندي الكثير من المال الذي يمكن أن أدفعه في مقابل حبك.»

واحتقن وجه مارلين وصاحت في انفعال:

«ما هذا الذي تقوله؟»



«أما زلت تتظاهرين بالخجل والبراءة؟ إذا كان الأمر كذلك فلماذا يشتري لك سيلاس هاذي الثياب؟»

«ولكنني أعمل معه كنموذج للتصوير.»

«حقاً؟ ألم تسمعيه وهو يصفك بأنك فتاته وأن مكانك إلى جانبه؟ وأنت تقفين أمامه ليلتقط لك الصور أمام الناس، وربما عندما ينفرد بك.»

«ولكن... هذا...»

«كان بسبب طيبة قلبك... أليس كذلك؟ تماماً كما تسمحين لي بمبادلتك الحب... إنك لم تظهري أي اعتراض وأنا اضمك على ظهر السفينة أو في الباص بل على العكس من ذلك لقد كنت تشجعينني على ذلك. فلماذا تتراجعين الآن؟ لا أعتقد أنك على هذه الدرجة من السذاجة بحيث تسمحين لرجل بالتمادي معك إلى هذه الدرجة ثم تتخلين عنه فجأة وبهذه البساطة؟ تعالي الآن ياحبيبتي وضعي هذا الرداء من أجلي لأراك في الصورة التي أريدها، وأبادلك الحب بالطريقة التي تريدينها، ربما ترغبين في المزيد من الاثارة.»

ثم ألقى بلير برداء النوم فوق الفراش وجذبها إليه في غضب وقوة وأمسك برأسها رغماً عنها، ثم مد يده إلى ثوبها يفتحه من الخلف، ولكنها قاومته فإنها لم تكن تريد أن تستسلم له بهذه الطريقة. وتمكنت من أن تتخلص منه وصاحت قائلة:

«لا...لا... لا... إنني لن أسمح لك بأن تستخدمني كبديلة لصديقتك. ألا يمكنك الانتظار حتى تعود إليها. لم يتبق سوى أربعة أيام. هل هذا وقت طويل بالنسبة إليك؟»

ودفعها بلير بعيداً عنه وقد تطاير الشرر من عينيه:

«أنت تقارنين بين علاقتي بمارفا وعلاقتي بك؟ إنك تهاجمينني لأنني أبادلك الحب، بينما تتجاهلين أنت الرجل الذي ستتزوجين منه؟»

فهزت مارلين رأسها في يأس وهي تقول:

«إن دوغلاس لايعني شيئاً بالنسبة لي.»

«هكذا... وبهذه السهولة تتنصلين من خطيبك؟ إنني أحتقر نفسي لأنني لست في

مكانه»

«كيف تسمح لنفسك بأن تقول لي ذلك وأنت تخون مارفا التي اعترفت بأنك ستتزوجها، ليس معي فقط بل مع شارون أيضاً»

«أما بالنسبة لشارون فإنها تفرض نفسها عليّ، أما أنت فإنك فتاة جذابة على استعداد لمبادلتي الحب، لقد شجعتني على التمادي معك وكنت راغبة في ذلك، لقد كان كل شيء فيك ينطق بهذه الرغبة، وأنا لم أفعل شيئاً سوى أنني حاولت أن اطيعك ولا أعتقد أن أحداً يمكن أن يلومني على ذلك.»

وجاهدت مارلين وهي تقاوم دموعها وقالت:

«ولكنني... ولكنني كنت أعتقد... أنك...»

«أحبك! وهل أحب فتاة مخطوبة وتحاول الايقاع برجلين آخرين؟»

ونظر إليها في احتقار شديد والتقط رداء النوم من فوق الفراش ومزقه بعنف وهو يقول:

«هذا هو مقدار حبي لك.»



## ٩ ـ مقدار حبي لك

في صباح اليوم التالي بدأت رحلة العودة وغادرت السفينة ستراسبورغ في حوالي الساعة السادسة صباحاً، واستيقظت مارلين على صوت الضجة المنبعثة من آلات السفينة، ولكنها عادت للنوم من جديد ولم تستيقظ بعد ذلك إلا في موعد تناول الشاي.

وكان أول شيء تقع عليه عيناها في الصباح رداء النوم الممزق وهو ملقى على الأرض، ولم تستطع منع نفسها من البكاء وهي تجمع الرداء الممزق لتضعه في حقيبتها.

وعلى مائدة الافطار حاولت مارلين ألاّ تلتقي نظراتها بنظرات بلير، ولم يكن ذلك صعباً عليها لأنه هو بدوره لم يحاول النظر إليها.

وبعد الانتهاء من تناول الافطار صعدت مارلين إلى سطح السفينة بصحبة سيلاس وباميلا وغبليس ووقفوا عند الحافة يشاهدون المناظر التي تمر بهم، وكانت السفينة في طريق عودتها إلى ميز تسير بسرعة أكبر من سرعتها في رحلة الذهاب.

وبعد الظهر وصلت السفينة إلى ميز تحت شمس مشرقة. ووعدت مارلين

سيلاس بالتوجه معه لالتقاط بعض الصور في هذه المدينة القديمة التي يرجع تاريخ إنشائها إلى ألفي عام.

وسمع صوت المرشد في مكبر الصوت قائلاً: ميز مشهورة بشرابها وفيها كاتدرائية يرجع تاريخها إلى ألف عام، كما أن المدينة اعتبرت أول مكان ظهرت فيه طباعة الكتب بالطريقة الحديثة. وقد أعيد بناء متحف جوتنبرغ تخليداً لذكرى جوهانز جوتنبرغ مخترع فن الطباعة الجديد.

وبعد النزول إلى الشاطىء، اتجهت مارلين وسيلاس إلى أحد المحلات حيث اختار لها سيلاس ثوباً جميلاً لتظهر به في الصور، وكما حدث من قبل في بادن بادن ارتدت مارلين الثوب الجديد وتركت ثيابها في المحل على أن تعود لأخذها بعد ذلك.

والتقط سيلاس لها مجموعة كبيرة من الصور، وهي تقف بين الجمهور، وأمام الكاتدرائية وفي المناطق الأثرية الأخرى من المدينة.

وشعرت مارلين بالتعب فطلبت من سيلاس التوقف، وعادا معاً إلى المحل حيث بدلت ثيابها من جديد، ثم اتجها معاً وجلسا في أحد المقاهي المكشوفة.

وبينما كانا يتناولان الشاي مر بهما بلير وكان بمفرده ويبدو متجهماً، وعندما دعاه سيلاس للانضمام إليهما هز رأسه بالنفي وهو يمضي في طريقه.

ونظر سيلاس إلى ظهر بلير وهو يبتعد وقال متسائلاً:

«ماذا حدث له؟»

وشعرت مارلين بالمهانة وهي تتذكر تفاصيل أحداث الليلة الماضية في حجرتها، ولم ترد على تساؤل سيلاس واكتفت بهز كتفيها وهي تلتقط حاجياتها وتقول إنها تريد العودة إلى السفينة.

وحاول سيلاس أن يستبقيها معه للتجول في أنحاء المدينة، ولكنها طلبت منه أن يوصلها إلى السفينة ويعود هو.

وعلى ظهر السفينة كان الجو هادئاً فقد اتجه معظم الركاب إلى الشاطىء، ووقفت مارلين قليلاً تستنشق الهواء النقي ثم اتجهت إلى مكتب الاستقبال



لمشاهدة بطاقات البريد المعروضة فيه.

وسمعت مارلين صوت أقدام تصعد درجات السلم المعدنية، والتفتت فرأت فتاة غريبة عن السفينة واقفة وهي تحمل حقيبة في يدها، وكانت شقراء ترتدي ثياباً فاخرة، وكان يبدو عليها القلق وهي تتلفت حولها.

وبدا عليها كأنها فوجئت بأن أحداً لم يكن في انتظارها. ونظرت إلى مارلين التي استدارت من جديد لتنظر إلى البطاقات بعد ان شعرت بنفور من الفتاة.

ولكن الفتاة لم تهتم بذلك ووجهت اليها الحديث قائلة في لهجة مميزة:

«أرجو المعذرة من فضلك، هل أنت انكليزية؟»

فالتفتت إليها مارلين وهزت رأسها بالايجاب . فاستطردت الفتاة تقول:

«ألا يوجد أحد في مكتب الاستقبال؟ هل يمكن أن تخبريني أين أجد السيد فان هلدن؟»

ولسبب ما لاتدريه شعرت مارلين بالتوجس، فهزت رأسها قائلة:

«لا أعرف شخصاً بهذا الاسم على ظهر السفينة. كما أن فان هلدن هو اسم الشركة نفسها التي تمتلك السفينة، ربما اختلط عليك الأمر»

وبدا الغضب على الفتاة وهي تجيب:

«الأمر لم يختلط عليّ، فهو موجود على ظهر هذه السفينة. إنه السيد بلير بارون فان هلدن إنه مالك السفينة وهو يتوقع وصولي»

وشعرت مارلين بأنها على وشك الاغماء فاستندت إلى المائدة قربها رافعة يدها إلى رأسها وهي لا تكاد تصدق أذنيها، وابتلعت ريقها وهي تسأل الفتاة:

«هل أنت؟»

ولم تستطع أن تكمل سؤالها لأنها كانت تخشى الاستماع إلى الاجابة ولكن الفتاة سارعت بالرد قائلة:

«أنا صديقته وأدعى ماريا دوربنوس»

وفي هذه اللحظة وصل بلير فالتفتت الفتاة نحوه وهي تهتف باسمه في فرح.

ونظر بلير إلى مارلين فأدركت أنه قد فهم الموقف وأنها عرفت عنه كل شيء أخيراً... وإن لم يبد عليه الاهتمام لذلك.

ووضعت مارفا حقيبتها على الأرض وألقت بذراعيها حول عنق بلير، وأخذا يتحدثان باللغة الهولندية، ثم فتح بلير باب مكتب الاستقبال وهو ينظر إلى مارلين التي وقفت تحملق فيهما وهي لاتكاد تصدق عينيها.

ثم أخذ بلير حقيبة مارفا واتجها جنباً إلى جنب إلى حيث توجد الغرف، ولم يحاول بلير أن يلتفت إلى مارلين وهما يمران بها.

وسارت مارلين وهي في حالة من الذهول، واتجهت إلى مكتب الاستقبال حيث اطلعت على دفتر تسجيل أسماء المسافرين فوجدت اسم مارفادوريتوس أمام الحجرة رقم ٣٢ مما يعني أنها بعيدة عن حجرة بلير... وفكرت مارلين وهي تسير متجهة إلى حجرتها في أنه ربما يطلب منها بلير أن تتخلى عن حجرتها الملاصقة لحجرته لصديقته لتكون بالقرب منه.

ووقفت في حجرتها تنظر من النافذة وهي تتمنى لو انقضت الأيام الباقية على مغادرة بلير السفينة بسرعة... ثلاثة أيام طويلة سيكون عليها أن ترى الرجل الذي أحبته من كل قلبها، وهو يستمتع بصحبة الفتاة التي ستصبح عن قريب زوجته! كيف يمكنها تحمل مثل هذا الموقف، ولكن ماذا تفعل، ليس أمامها إلاّ الامتثال للأمر الواقع وانتظار وصول السفينة إلى أمستردام ورحيل بلير ومارفا.

وأخذت مارلين تسائل نفسها: لماذا يعمد بلير إلى التخفي والسفر على إحدى السفن التي يمتلكها كأي مسافر عادي. وفكرت مارلين في أنه لاعجب أن بلير لديه كل هذه المعلومات عن الملاحة النهرية، ويحتفظ بمفاتيح لجميع الحجرات، وأوامره مطاعة من جميع العاملين على السفينة.

وتذكرت مارلين كيف أنه طلب إلى قائد السفينة الانتظار عندما تأخرت عن الحضور في ميز، وكان يأمر بتنفيذ كل المقترحات التي ذكرتها هي والسيدة لو في معرض حديثها.



وعاد السؤال يلح عليها من جديد... ولكن لماذا التخفي؟ هل يريد قضاء عطلة هادئة لايتعرض أثناءها لمضايقة أية فتاة قد تسعى إلى الإيقاع به. واحتقن وجه مارلين وهي تفكر في أن بلير ربما اعتقد أنها كانت هي أيضاً ستطارده لو أنها عرفت حقيقته.

ولم تغادر مارلين حجرتها هذا المساء إلاّ عندما سمعت الجرس معلناً موعد العشاء.

واتجهت إلى صالة الطعام فوجدت المقعد الذي اعتاد بلير الجلوس عليه خالياً، ووجدته جالساً إلى أحد الموائد المنعزلة في ركن الصالة مع صديقته.

فسارت في خطوات آلية إلى مقعدها، شاعرة بالغيرة والألم.

وعندما انضمت شارون إلى والديها على المائدة وجدت مقعد بلير خالياً فأخذت تتلفت باحثة عنه، ولما رأته يجلس مع مارفا انطلقت منها صيحة صبيانية، لفتت الأنظار إليها، وصاحت وهي تدفع يد والدتها التي حاولت إسكاتها:

«ماذا تفعل هناك يابلير!»

وبدا عليها كأنها تريد مغادرة مكانها والذهاب إليه، ولكن والدها جذبها لتجلس على المقعد.

أما بلير فاستمر في حديثه الهامس مع صديقته بدون أن يحاول حتى الالتفات إليها.

وبدأ الركاب يتهامسون بحقيقة بلير وبأنه مالك السفينة ووصل سيلاس إلى صالة الطعام متأخراً... وأخذ يقص عليهم مشاهداته في مدينة ميز بينما راحت مارلين تستمع إليه محاولة تحاشي النظر إلى حيث يجلس بلير وصديقته في عالم خاص بهما.

وبعد العشاء جلست مارلين لبعض الوقت مع السيدة لو ثم اتجهت إلى المقصف حيث جلست مع سيلاس وهي تفكر: ماذا يهم الآن رأي بلير في علاقتها بسيلاس.

وبعد أن احتست كأساً استأذنت في الانصراف متجهة إلى حجرتها. وفتحت الراديو تستمع إلى الموسيقى وهي تستلقي في استرخاء فوق فراشها. ولكنها لم تنعم بالهدوء طويلاً اذ سمعت صوت باب حجرة بلير وهو يغلق، ثم سمعت صوت مارفا وكانا يتحدثان بالهولندية ويضحكان. وفهمت مارلين أنهما يتناولان الطعام في حجرة بلير. وعمدت مارلين إلى رفع صوت الراديو ليطغى على صوتهما. فنجحت مارلين في ذلك لفترة معينة، ولكن عندما أغلقت الراديو بعد انتهاء السيمفونية الموسيقية جاءتها الأصوات من جديد، ولكنها كانت خافتة هذه المرة وايقنت أن مارفا مازالت في حجرة بلير حتى هذه الساعة المتأخرة.

وانفجرت مارلين في البكاء وهي تدفن وجهها في الوسادة حتى لا يسمعها أحد، لقد كان الموقف اصعب من ان تحتمله أعصابها.

ثم أضافت وهي تسائل نفسها: ماذا كانت تنتظر من بلير؟ هل كانت تنتظر منه أن يحبها وهو الشخص الثري الذي يمتلك هذا الأسطول الضخم من الفنادق العائمة؟

ولما لم تتمكن من النوم، اتجهت إلى إحدى حجرات الاستحمام في نهاية الممر، وبينما كانت في طريقها وهي تمر أمام باب حجرة بلير فتح الباب فجأة وخرجت منه مارفا يتبعها بلير.

وبعد عودتها إلى حجرتها ألقت بحاجياتها فوق الفراش واتجهت لتغلق الباب ففوجئت ببلير يقف أمامها. فسألته في حدة:

«ماذا تريد؟»

«لاحظت عندما رأيتك الآن أنك شاحبة اللون، هل حدث شيء؟»

فرفعت رأسها في تحد وهي ترد قائلة:

«لا، لم يحدث شيء.»

واقترب منها بلير وهو يتفحصها، ثم أمسك خصرها بيديه وقال:

«إنني على يقين من أن شيئاً يضايقك.»

ثم جذبها إليه مضيفاً:



«هل ذلك بسببي»

فابتعدت عنه وهي تصيح قائلة:

«دعني... إنك مغرور حين تعتقد أنني حتى أفكر فيك... حسناً إنك مخطئ، وأنت لا يمكنك الاحتفاظ بفتاتين في وقت واحد، ومعك الآن صديقتك ألا يكفيك وجودها معك؟»

ووقف بلير ينظر إليها فأضافت بغضب:

«إنني أعرف من أنت الآن.»

وبدا وجهه جامداً وهو يقول:

«إنني أعرف ذلك، وهل جعلك هذا تندمين على أنك لم تستسلمي لي أمس، ربما كان ذلك سيعطيك حقاً في مطالبتي بما تريدين، أليس كذلك؟ وربما عمدت إلى ابتزاز الأموال مني ثمناً لسكوتك.»

وشعرت مارلين بالغضب يجتاحها فانفجرت قائلة:

«إنك جاسوس، إنك لست سوى جاسوس حقير تتخفى تحت اسم والدتك وتتظاهر بأنك مسافر عادي لتستمع إلى مايدور بيننا من أحاديث حول فندقك العائم.»

وشحب لون بلير بشدة ولكنه لم يبد عليه الغضب، وقال في لهجة عميقة:

«أرجوك أن تهدأي.»

ثم أخذ يتفحص جسدها بعينيه وهو يقول:

«إنك تقفين أمامي الآن بدون أي دفاع، وإذا فعلت هذا...»

وركل الباب بقدمه فأغلقه.

«فإنك تكونين تحت رحمتي تماماً، وإذا فعلت هذا...»

وتقدم منها فأخذها بين ذراعيه...

«وهذا...»

فضمها اليه

«أكون قد أخضعتك تماماً لرغباتي.»

وتركها بلير فتراجعت إلى الخلف وهي تشعر بضعفها في مواجهته... ولكنه

نظر إليها قائلا:

«لاتخافي فأنت في أمان معي... فإنني لايمكن أن ألمسك ولو مقابل أموال الدنيا بأسرها بعد أن عرفت رأيك فيّ.»

وفي اليوم التالي مرت السفينة بالمنطقة التي تكثر فيها الصخور في مجرى النهر... ووقفت مارلين في حزن ترقب الصخرة التي تقول الأسطورة إن عروس البحر كانت تجلس عليها لتغني وهي تمشط شعرها لتدفع البحارة إلى حتفهم... وتذكرت بلير وهو يسألها إن كان يمكنها أن تدفعه إلى حتفه أيضاً لو أنها كانت مكان عروس البحر.

وضمت مارلين شفتيها في مرارة متذكرة موقف بلير منها، وحدثت نفسها بأنه لايمكن لأية فتاة أن تدفعه إلى مالا يريد... فانه سيتجاوب مع أية فتاة إلى الحد الذي يريده هو، ثم يتركها عندما يريد وكأن شيئاً لم يكن.

قررت مارلين منذ أن تركها بلير في اليوم السابق أن تنسى كل ما كان بينهما وهي تقنع نفسها بأن مغامرات السفر لا تدوم طويلاً... وأن الفراق بينهما كان شيئاً واقعاً لا محالة.

ووقفت باميلا على حافة السفينة ليلتقط فيليس صورتها، فسمعت مارلين فيليس يقول وهو يشير إلى شارون التي وقفت بمفردها:

«إن صديقتنا الصغيرة شارون تقف حزينة.»

ونظرت السيدة لو إليها قائلة:

«إنه لغباء أن تعلق الفتيات الصغيرات الآمال الكبيرة على العلاقات العابرة، والآن والكل يعرف من هو بلير بارون، فهل يتوقع أحد أن تنتهي العلاقة بينهما إلى شيء؟»

وقال فيليس:

«أعتقد أنها ربما كانت حركة متعمدة من بلير أن يدعو صديقته إلى السفينة في هذا الوقت بالذات لتنقذه من موقف صعب.»

ثم انحنى إلى الأمام وقال موجهاً حديثه إلى مارلين:



«أعتقد أنه كان على علاقة بك أيضاً يامارلين، فقد رأيتكما معاً وأنتما تجلسان في المقعد الخلفي في الباص.»

وردت مارلين في لهجة حاولت أن تبدو طبيعية:

«إن علاقتنا لم تكن تعني شيئاً بالنسبة إلي أو له، فهو على وشك أن يخطب فتاة أخرى.»

فتدخلت السيدة لو في الحديث وهي تقول:

«وأنت أيضاً ياعزيزتي، ألم تخبريني بأنك مخطوبة تقريباً لهذا الموسيقي الشاب الذي يدعى دوغلاس؟»

«نعم، وسأجد دوغلاس في انتظاري عند عودتي، ولهذا كما ترين فإن علاقتي ببلير بارون لاتعني شيئاً بالنسبة إلي.»

ولكزت باميلا مارلين وهي تشير برأسها إلى بلير بارون الذي وقف وحيداً غير بعيد عنهم واضعاً يديه في جيبيه، وعندما التفتت مارلين رمقها بلير بنظرة باردة أيقنت منها أنه سمع كل حديثها. فابتسمت له في تحد ابتسامة عريضة ولكنه لم يرد على ابتسامتها وغادر المكان.

وعندما وصلت السفينة إلى كولون نزلت مارلين بصحبة سيلاس إلى الشاطىء، وأخذا يتجولان في المدينة حيث زارا المتحف والكاتدرائية وسوق المدينة ودخلا إلى أحد محلات بيع المجوهرات واشترى لها سيلاس، رغم معارضتها الشديدة، ميدالية.

ووقف سيلاس خارج المحل يضع الميدالية حول عنق مارلين، وبينما هو يفعل ذلك مرّ بهما بلير وقد تعلقت مارفا بذراعه، ونظر بلير إلى سيلاس وهو يضع القلادة حول عنق مارلين، ثم نظر إليها وابتعد وهو يبتسم ابتسامة انطوت على الكثير من الاحتقار.

وجذبته مارفا إلى نافذة محل المجوهرات حيث أشارت بإعجاب إلى سوار عرض فيها، وسرعان ما دخل بلير إلى المحل بصحبتها وهو ينحني لمارلين وسيلاس ببرود.

وبعد العشاء توجه سيلاس بمفرده إلى المدينة من جديد لأنه كان يريد التقاط بعض الصور للمدينة بالليل.

وجلست مارلين في البهو بجوار النافذة ممسكة بأحد الكتب تحاول قراءته، ولكنها أخذت تراقب حركة السفن التي تسير بالنهر ووجدت نفسها تفكر في بلير.

وتذكرت قول غيليس أن بلير دبر «الظهور المفاجيء» لمارفا على السفينة، وفكرت أن هذا القول ينطوي على الكثير من الصدق... ولكن الشيء الذي لم يعرفه غيليس هو أن بلير كان يريد التخلص منها هي بعد أن سئم من عواطفها المتأججة ناحيته.

وانتبهت مارلين إلى صوت السيدة لو وهي تسألها ما إذا كان الكتاب الذي بيدها مسلياً أم لا. فهزت مارلين رأسها بالايجاب وهي تقلب الصفحة متظاهرة بالقراءة.

ثم سمعت ضحكات وأقدام تهبط الدرج وظهر بلير بصحبة مارفا وتوجها إلى المقصف، وكانا يتحدثان بالهولندية ويتضاحكان مع الساقية التي قدمت لهما الشراب.

وكانت مارلين تجلس وظهرها إليهما، وظلت تنظر في الكتاب الذي بيدها متظاهرة بالقراءة.

وودت مارلين لو أن لديها الشجاعة الكافية لتنظر إلى يد مارفا لترى ما إذا كانت ترتدي الخاتم الذي اشتراه لها بلير.

ويبدو وكأن السيدة لو عرفت ما يجول بخاطرها فقالت:

«صديقة السيد بلير بارون ، أقصد السيد فان هلدن، لا ترتدي في أصبعها الخاتم الذي اشتراه لها».

ثم همست قائلة:

«ألا تعتقدين أنه يود أن يخطب هذه الفتاة الجميلة بأسرع مايمكن حتى يضمن بقاءها إلى جانبه؟»



فردت مارلين بدون أن تحاول رفع بصرها عن الكتاب:

«أعتقد أنه ضمن ذلك تماماً، حتى بدون أن يقدم لها خاتم الزواج».

«ربما تكونين على حق ياعزيزتي... فليس هناك شك في عواطفها نحوه، لأنها تضع ذراعها في ذراعه وتنظر إليه في وله شديد كأنهما تزوجا بالفعل».

وقالت مارلين تحدث نفسها: ربما يكون ذلك قد حدث فعلاً.

وهمست السيدة لو من جديد:

«إنهما يخرجان الآن. إنهما يغادران السفينة».

ثم قالت وهي تتنهد:

«كم هو جميل أن يكون الانسان شاباً وعاشقاً».

وبعد قليل استأذنت السيدة لو في العودة إلى حجرتها، وبقيت مارلين بمفردها، ولم يمض وقت طويل حتى عاد بلير ومارفا إلى السفينة، وسمعت مارلين صوت أقدامهما، وتسارعت دقات قلبها وهي تشعر ببلير يجلس على المقعد الذي كانت تشغله السيدة لو في مواجهتها وجلست مارفا بجانبه، ولم ترفع مارلين عينيها عن الكتاب وتظاهرت بالانهماك التام في القراءة.

وأخرجت مارفا علبة سكائرها من حقيبتها وطلبت من بلير بدلال أن يشعل لها سيكارة. وبعد أن أشعلها لها قالت في لهجة ناعمة:

«إن يدك ثابتة تماماً ياعزيزي... إلا ... حسناً، إلا في أوقات معينة!»

ورفعت مارلين في هذه اللحظة عينيها فالتقت بعيني بلير ولمحت ابتسامة ساخرة ترتسم على فمه.

ونفثت مارفا دخان سيكارتها في وجه مارلين فيما يبدو حركة متعمدة من جانبها، فرفعت مارلين يدها في استياء ظاهر أمام عينيها لتزيح الدخان فسمعت صوت مارفا تسأل في سخرية:

«هل تعترض الآنسة ميتلاند على تدخيني؟»

وشعرت مارلين بالحرج لهذا الموقف الاستفزازي من جانب مارفا وهي تسائل نفسها لماذا تتلذذ خطيبة بلير بإثارتها. فردت قائلة:

«كانت حركة لا إرادية، فإنني لا أدخن. ولكن أرجوك أن تستمري في التدخين.»

فردت مارفا في لهجة باردة:

«إنني أنوي ذلك بالفعل.»

ويبدو أن بلير شعر بالحرج الذي تعاني منه مارلين بسبب وقاحة صديقته... فنظر إليها وهو يقول فجأة:

«هل تريدين شراباً يامارلين؟»

وازداد اضطراب مارلين وردت في تلعثم:

«أنا... حسناً... أنا...»

فوقف بلير قائلاً:

«إنني أعرف ماتريدين... وأنت يامارفا؟»

فهزت مارفا رأسها بالنفي، فذهب بلير ليحضر الشراب، واستمرت مارفا في التدخين وهي تراقب مارلين، بدون أن تحاول التحدث معها.

وعاد بلير حاملاً قدحين وضع أحدهما أمام مارلين. ولدهشتها الشديدة وجدته يجلس بجانبها بدلاً من أن يجلس في المقعد المواجه لها بجانب مارفا.

فبدا الاستياء على وجه مارفا ونظرت إليه في عتب قائلة:

«ياعزيزي!»

ولكنها انتهزت فرصة جلوس بلير في مواجهتها لتظهر له المزيد من مفاتنها فوضعت ساقا على ساق وهي ترفع ثوبها إلى أعلى.

ولم تلمس مارلين قدحها وتظاهرت بالانشغال التام عما يدور حولها بالقراءة... ولم يحاول بلير مضايقتها، ولكنها كانت تشعر بأنه ينظر إليها معظم الوقت، رغم أنه كان يستمع إلى مارفا التي لم تتوقف عن الحديث لحظة واحدة. ولم تفهم مارلين شيئاً مما تقوله فقد كانت تتحدث بالهولندية.

وفجأة سمع صوت ضجة خارج البهو واندفع سيلاس يدخل من الباب مترنحاً وهو يصيح قائلاً:

«أين هي... أين فتاتي؟»



وسمعت مارلين صوت فيليس محذراً يرد عليه:

«اهدأ ياعزيزي... إن أفضل شيء لك الآن هو التوجه إلى فراشك.»

ولكن سيلاس أخذ يبحث في أنحاء المكان، وعندما رأى مارلين هتف قائلاً:

«ها هي... ها هي فتاتي.»

وسار مترنحاً في البهو ثم توقف أمام مارلين، ومد يده ليمسك بالكتاب الذي تتظاهر بالقراءة فيه وقذف به إلى الأرض.

واضطربت مارلين، ولكنها حاولت التماسك، فرسمت ابتسامة على شفتيها وقالت:

«سيلاس... هل عدت أخيراً.. هل استمتعت بوقتك؟»

فرد سيلاس في صوت أجش:

«لا... وكيف ذلك بحق الجحيم وأنت لم تكوني معي.»

وجاء صوت بلير محذراً وهو يقول:

«هادلي.»

ثم التفت إلى مارلين قائلاً:

« مارلين... سأتولى أنا أمره.»

فصاح سيلاس قائلاً:

«لن... لن تتولى أمري يابلير، خط الملاحة النهرية. فان هلدن... لن يتولى أحد أمري وخاصة أنت أيها الرجل الغني المستهتر.»

ونظرت مارلين في خوف إلى بلير في انتظار رد فعله على هذه الاهانة... ولكنه لم يفعل شيئاً واكتفى بالقول:

«تعال في هدوء يا هادلي وإلا فإنني سأستدعي واحداً من البحارة يمكنه التعامل مع شخص في مثل حالتك.»

«استدع أي أحد... استدع حتى ربان السفينة... فأنت الرئيس هنا... ولكنك لن تستطيع أن تفعل بي شيئاً فأنا أحد المسافرين ودفعت أجر إقامتي في فندقك

العالم.»

فأجاب بلير بحدة:

«لقد أوشكت الرحلة على الانتهاء وسواء دفعت أجر إقامتك أم لم تدفع، فلن أسمح لك بالتمادي في هذا الموقف، وسأضطر لانزالك من السفينة.»

وتقدم غيليس من بلير يعرض مساعدته فشكره بلير وطلب منه أن يمسك بذراع سيلاس ليساعداه على الذهاب إلى حجرته. ولكن سيلاس أخذ يقاومهما، فقال غيليس يحثه على الذهاب:

«هيا ياسيلاس وكن عاقلاً... فلن يفيدك شيء الآن قدر ذهابك إلى فراشك.»

ولكن سيلاس استمر في مقاومتهما وهو يقول:

«لن أذهب إلا إذا ذهبت معي فتاتي.»

فقالت مارلين:

«سيلاس... لكنني لن...»

ولكنها فجأة توقفت عن الكلام بعد أن نظر إليها غيليس محذراً.

وقال بلير في لهجة باردة:

«آنسة ميلاند... أعتقد أنه من الأفضل أن تذهبي معنا... على الأقل لتفادي هذه الضجة... وفي أي حال... إذا كان وجودك إلى جانبه سيهدئه فمن أكون أنا لأعارض؟»

وضحكت مارفا التي كانت تراقب الموقف باهتمام زائد، وقالت تحدث بلير:

«عندما تنتهي ياعزيزي من وضع ضيفك المزعج في حجرته مع صديقته... عد إليّ.»

وتمكن غيليس وبلير من مساعدة سيلاس للوصول إلى حجرته حيث وضعاه فوق فراشه ثم انسحب غيليس.

وقال بلير محدثاً سيلاس:

«هل تريد أن أكرر مافعلته معك في المرة السابقة ياعاقل؟»

فرفع سيلاس عينيه في تثاقل وقال:



«ماذا تقول... هل تريد تعذيبي من جديد بدعوى إعادتي إلى وعيي...لا.. شكراً... ستتولى فتاتي أمري.»

ثم أمسك بيد مارلين وأضاف:

«ستعتني بي بل ستنقلني إلى الجنة.»

ثم التفت إليها في رجاء:

«ابقي معي ياعزيزتي..»

«ولكن ياسيلاس... إنني...»

وتدخل بلير في الحديث قائلاً في لهجة قاطعة:

«مارلين، ستذهبين معي.»

ولكن سيلاس رفع رأسه وهو ينظر إلى مارلين في رجاء قائلاً:

«أرجوك ياعزيزتي... لاتتركيني... أليست لديك أية رحمة؟»

ولاحظ بلير تأثر مارلين فنظر إليها ببرود قائلاً:

«إذا بقيت معه... فأنت تعرفين تماماً ماذا يعني ذلك.»

«أنت مخطئ، تماماً ياسيد بارون فإن سيلاس لن...»

فقاطعها بلير قائلاً في سخط:

«لاتكوني على هذه الدرجة من السذاجة.»

ولكن مارلين، ساءها أن يسيء بلير الظن بها إلى هذا الحد، فأجابت في تحد:

«إنني سأبقى إلى جانبه... إن قلبي ليس متحجراً وقاسياً مثل قلبك لأتخلى عن سيلاس وهو على هذه الحالة... إنه في حاجة...»

فنظر إليها بلير باحتقار وهو يقول:

«إلى مساعدة! حسناً...»

ثم أضاف في لهجة قاسية:

«امنحيه المساعدة التي يتلهف اليها... ولكن لاتأتي إليّ نادمة بعد أن يفسد سمعتك.»

واندفع خارجاً من الحجرة واغلق الباب وراءه بعنف. اما سيلاس فبدا

وكأنه فقد وعيه، ولكنه أشار في إعياء إلى الفراش يطلب من مارلين الجلوس إلى جانبه... وشعرت مارلين بالخوف وودت لو أنها تعدو وراء بلير لترجوه العودة، ولكنها جلست إلى جانب سيلاس على الفراش ومال برأسه في إرهاق وأسنده إلى كتفها ثم أحاط خصرها بذراعه.

وشعرت مارلين برغبة في أن تربت على رأسه، لأنه بدا لها كالطفل الذي يبحث عن الحنان، وجلسا هكذا في صمت قطعه سيلاس قائلاً:

«كم أنا غبي، لأشرب إلى هذه الدرجة التي تدفعني لازعاج فتاة جميلة مثلك تجلس بجانبي على الفراش. إنني لا أصلح لشيء... لاأصلح لشيء على الاطلاق.»

وبعد فترة بدا سيلاس مستسلماً للنوم فأزاحت مارلين رأسه عن كتفها برفق ووضعته على الوسادة ثم خلعت حذاءه ووضعت فوقه الغطاء وخرجت من الحجرة في هدوء.

وبينما كانت تفتح باب حجرتها، فتح باب حجرة بلير الذي أخذ يحدق فيها بنظرات قاسية.

ورغم أنها لم ترتكب شيئاً مع سيلاس، إلا أنها شعرت بالاضطراب أمام نظرات الاتهام التي كان يوجهها إليها بلير فاندفعت تقول:

«بلير... إنني...»

ولكن بلير لم ينتظر بل أغلق الباب بقسوة في وجهها.



# ١٠ - قلب يئن ويصرخ

في اليوم التالي عبرت السفينة الحدود لتدخل إلى الأراضي الهولندية من جديد.

ولم يغادر سيلاس حجرته حتى حان موعد الغداء، وعلى المائدة أخذ يقص على باميلا وغيليس معاناته في الليلة الماضية وكيف أنه شعر وكأن ملاكاً دخل إلى حجرته ليعتني به في حنان جعله يستغرق في سبات عميق.

ونظر غيليس وباميلا إلى مارلين التي توردت وجنتاها، يهنئانها على مقدرتها في العناية بسيلاس، وشكرت لهما مارلين في قرارة نفسها تفهمهما لموقفها وودت لو أن بلير كان لديه هذا القدر من التفهم وحسن الظن بها.

وتوقفت السفينة في نيجميجين قبيل موعد العشاء، ولم تشاهد مارلين بلير طوال اليوم ولكنها لمحته من بعيد في بعض الأحيان. وكان دائماً بصحبة مارفا. ولما كان يتناول الطعام في عزلة عن باقي الركاب منذ وصول مارفا، فإنها لم تتمكن من رؤيته أيضاً أثناء تناول العشاء.

والتقت به لأول مرة وجهاً لوجه بينما كانت تغادر حجرتها متجهة إلى البهو، وفي أول الأمر توقعت أن يتجاهلها بلير تماماً. ولكنه عندما اقترب منها نظر إلى وجهها نظرة عابرة وهز رأسه بالتحية وهو يمضي في طريقه.

وفي البهو اتخذت مارلين مقعداً بجوار السيدة لو التي ابتدرتها قائلة:

«هل قرأت ماكتب على اللوحة؟ يقولون إن حفلة راقصة ستقام هذا المساء.»

«لا... لم أعرف ذلك.. في أية حال، أعتقد أنني لن أشترك فيها. ربما جلست فقط لمشاهدة الراقصين ولكنني لن أنضم إليهم.»

وظهر الاستياء على وجه السيدة لو فقالت:

«كيف ذلك ياعزيزتي، إن هذه الحفلات الراقصة تقام لكم أنتم الشباب لتستمتعوا بها. يجب أن تستمتعي بوقتك. لا تترددي والبسي ذلك الثوب الجميل الذي ظهرت به من قبل.»

ولكن مارلين لم تفعل بنصيحة السيدة لو. فعندما اتجهت إلى حجرتها لتستعد للحفلة الراقصة اختارت ملابس بسيطة للغاية. فارتدت سروالا أبيض اللون وقميصاً مناسباً.

ورغم بساطة ملابس مارلين، فإنها بدت رائعة. التصق السروال بجسمها فأظهر تقاسيم جسدها المتناسق، فبدت جذابة للغاية وقد تناثر شعرها الأسود الفاحم ليحيط بوجهها ويظهر جمال عينيها الواسعتين، وتدلّ القرط الكبير من أذنيها ليضيف إليها المزيد من الاثارة.

وعندما اتجهت إلى البهو كانت الحفلة الراقصة قد بدأت فلم تحاول النظر حولها بل ذهبت فوراً إلى حيث تجلس السيدة لو وجلست في المقعد المجاور لها.

ونظر إليها سيلاس وهو يعرب عن استحسانه لمنظرها بطريقة مبالغ فيها.

ونظرت مارلين حولها فرأت بلير يجلس بمفرده غير بعيد عنها وكان يبدو عليه انشغال الذهن، سمع أصوات الاستحسان التي صدرت عن سيلاس فالتفت بدوره إلى حيث جلست مارلين، وأخذ يتفحصها بعينيه بإعجاب شديد.

وشعرت مارلين بالحرج الشديد، فاعتدلت في جلستها وقبل أن تدير ظهرها لبلير نظرت إليه بتحد فلمحت على شفتيه ابتسامة ساخرة.

وفي هذه اللحظة ظهرت مارفا على باب البهو وقد ارتدت زياً رائعاً للمساء، فشعرت مارلين بالندم لأنها تعمدت أن تلبس ثياباً بسيطة.

وبعد أن اطمأنت مارفا إلى أن جميع الأنظار اتجهت إليها، سارت بدلال إلى حيث جلس بلير الذي وقف لاستقبالها مبتسماً، ثم أخذ بيدها واتجه بها إلى حلبة



الرقص.

وأشاحت مارلين بوجهها بعيداً عن حلبة الرقص وهي لاتكاد تصدق أن هذا الرجل الذي يتجاهل وجودها الآن كان منذ أيام فقط يضمها بعنف بين ذراعيه ويطلب منها قضاء الليلة معها في حجرتها، وكان من الممكن لو أنها وافقته على ذلك أن يتخلى عنها أيضاً بمجرد ظهور صديقته!

ووقف سيلاس يدعوها إلى الرقص معه، وعلى الرغم من أنها لم تكن تنوي الاشتراك في الرقص الا أنها لم تجد مايخيفها من قبل دعوته، وخاصة أن مظهر مارفا وثقتها الزائدة في جمالها جعلها تشعر بالرغبة في تحديها. ولم تمانع أيضاً سيلاس وهو يضمها إليه في قوة. بل إنها لم تهتم بنظرات بلير إليها، وكانت كلما التقت نظراتها بنظراته تشيح بوجهها بعيداً وكأنها لاتطيق رؤيته.

وبعد انتهاء الرقصة دعاها سيلاس للجلوس معه على المنصف ولكنها رفضت وعادت إلى الجلوس إلى جانب السيدة لو التي كانت منهمكة في الحديث.

وعزفت الموسيقى من جديد ونظرت مارلين من النافذة المجاورة لها لأنها لم تكن لديها رغبة في مشاهدة الراقصين، وفجأة انحنى أمامها بلير وهو يسألها:

«هل ترقصين معي؟»

«لا...شكراً... لاأشعر برغبة في ذلك... كما أنني لم أحضر هنا لأشترك في الرقص.»

«ولكنك كنت ترقصين الآن.»

«لأنني كنت أرقص مع سيلاس ولن أرقص مع أحد غيره وخصوصاً معك أنت.»

ولكن بلير جذبها لتقف وهو يقول في لهجة آمرة:

«سترقصين معي. إنني لاأطلب منك ذلك ولكنني آمرك.»

ولم تجد مارلين مفراً من الامتثال لأمره، وكانت أصابعه تؤلمها وهو يضغط على كتفها بقوة. ودار بها في حلبة الرقص، ورغم أنه كان يلتصق بها وهما يرقصان معاً، إلا أنها شعرت أن هوة كبيرة تفصل بينهما الآن. أحست به وكأنه يود أن يعاقبها على جريمة لم ترتكبها... لقد حاكمها وأصدر حكمه عليها بدون أن

يعطيها أية فرصة للدفاع عن نفسها... وادركت أن جريمتها في نظر بلير تتمثل في عدم إطاعة أوامره بمغادرة حجرة سيلاس واعتقاده بأنها فتاة سيلاس بالفعل.

وازداد شعورها بالألم فوجدت نفسها رغماً عنها تتوسل إليه قائلة:

«أرجوك... إن أصابعك تؤلمني.»

«حسناً... من حسن حظك أنني لم أفعل غير ذلك... لو أنني تمكنت منك كما فعل سيلاس أمس.»

فاندفعت مارلين مبتعدة عنه في غضب وشقت طريقها بين الراقصين لا تلوي على شيء، ثم اتجهت إلى حجرتها حيث جلست واضعة رأسها بين يديها متألمة من موقف بلير منها وسوء ظنه بها.

وعندما أوت مارلين إلى فراشها في المساء لم تتمكن من النوم لأن الجو كان عاصفاً والمياه تندفع لتصطدم بجانب السفينة فشعرت بالبرودة وتذكرت أنها لم تغلق النافذة فأضاءت النور المعلق فوق فراشها وجرت بسرعة إلى النافذة لتغلقها.

واكتشفت مارلين أن المياه التي تدفقت من النافذة غمرت بعض حاجياتها وآلتها الفوتوغرافية التي كانت موضوعة على حافة النافذة.

ووقفت مارلين تتفحص آلتها الفوتوغرافية عندما سمعت صوت مفتاح يوضع في الباب. ثم فتح الباب ووجدت بلير يقف أمامها فجأة بدون استئذان وكأن من حقه أن يدخل إلى حجرتها في أي وقت يشاء.

وأضاء بلير النور وبدا عليه وكأنه غادر فراشه على وجه الاستعجال... ورغم أنه لاحظ اضطرابها إلا أنه لم يرفع عينيه المتفحصتين عن جسدها.

فاندفعت تسأله:

«ماذا تريد؟»

«لقد سمعتك تغلقين النافذة فاعتقدت أنك ربما تواجهين متاعب بسبب العاصفة.»

فصاحت مارلين قائلة:



«ولماذا تهتم بي وما أنا إلا مجرد راكبة على السفينة... أليس من الأجدر بك أن تهتم بصديقتك؟»

«مارقا يمكنها العناية بنفسها.»

فردت في برود:

«وأنا لا أخاف العاصفة... ولست طفلة.»

فأخذ يتفحصها من جديد ثم قال:

«إن هذا يبدو واضحاً.»

ثم أضاف وقد أطلت من عينيه نظرة جعلتها ترتجف:

«لو أنك لم تكوني فتاة رجل آخر، ولولا أن أحداً قبلي على هذه السفينة قد سبق إلى تحطيم مقاومتك، لأخضعتك لرغباتي الكاملة هنا وفي هذه اللحظة.»

وودت مارلين لو أنها صرخت قائلة: إنك مخطىء... إن أحداً غيرك لايمتلكني، وإنني لا أحب أحداً سواك.

وتسارعت ضربات قلبها وبلير يتقدم نحوها وبدأت ترتجف، ولكن بلير توقف أمامها ووضع يديه في جيبيه محدقاً في وجهها قبل أن يقول:

«معرفتنا كانت قصيرة... ولكنها مثيرة.»

واتجه إلى الباب ولكنه قبل أن يخرج التفت إليها قائلاً:

«إنني أتمنى لك السعادة في حياتك المقبلة... وأتمنى لك حظاً سعيداً في عملك وفي حياتك الزوجية.»

وفي صباح اليوم التالي غادرت السفينة نيجميجين وغادرت نهر الراين لتدخل في قنوات هولندا.

وتجمع المسافرون فوق سطح السفينة يراقبون عملية فتح البوابات العملاقة للسماح للسفن التي تجمعت أمامها بالدخول. وما أن دخلت السفينة القنوات المائية الهولندية حتى تغيرت المناظر الطبيعية تماماً... واختفت التلال، وبدأت تظهر الضفاف التي غطتها الحشائش، وقنوات صرف المياه المتناثرة في كل مكان، وطواحين الهواء الكثيرة والتي يستخدم معظمها في الوقت الحاضر كمنازل.

وظهرت الماشية والأغنام في المراعي كنقاط بيضاء وسط الخضرة المترامية.

وسرحت مارلين بأفكارها وهي تتذكر رحلة الذهاب عندما كان بلير يقف بجانبها يحدثها عن بلده هولندا... أما اليوم فلم تستطع مارلين رؤيته لأنه كان منشغلاً طوال الوقت بالحديث مع البحارة وربان السفينة...

وتساءلت مارلين ما إذا كانت ماريا ستبقى على ظهر السفينة بعد رحيل بلير، ولم يمض وقت طويل حتى وجدت الاجابة على تساؤلها... فجأة شاهدت، وهي تقف على سطح السفينة، بلير يغادر السفينة بصحبة ماريا حاملاً حقيبتين في يديه... وتوقف بلير وماريا قليلاً يلوحان بأيديهما للركاب الذين وقفوا على سطح السفينة... وبدا بلير كأنه يبحث عن شخص معين فابتعدت مارلين قليلا حتى لايراها... وعندما رأى بلير السيدة لو وضع إحدى الحقيبتين ولوح لها بيده مودعاً... ثم اتجه مع ماريا إلى السيارة التي كانت في انتظارهما وما هي إلا دقائق حتى ابتعدوا.

ووقفت مارلين تنظر إلى السيارة المبتعدة وقد اعتراها شعور عميق بالحزن. اختفى بلير بارون الآن من حياتها. إنه لم يحاول أن يظهر لها أسفه لفراقها، بل إنه لم يتعب نفسه و يودعها.

وقضت مارلين فترة بعد الظهر مع سيلاس يتجولان في أمستردام... واختلطا بالناس في شوارعها المزدحمة... ثم استقلا سيارة النقل النهري التي مرت بها وسط القنوات المائية بالمدينة وقال المرشد: إن عددها يزيد على المائة قناة... كما اضاف أيضاً: إنه عندما يحدث المد العالي في بحر الشمال تكون المدينة تحت مستوى البحر بحوالي أربعة أقدام أو خمسة.

وطلب سيلاس من مارلين مرافقته في جولة بين الملاهي الليلية في المدينة، ولكنها رفضت وعادت إلى السفينة حيث قضت فترة المساء مع السيدة لو وباميلا وفيليس يتجاذبون أطراف الحديث.

ثم اتجهت مارلين بعد ذلك إلى حجرتها لترتب حقيبتها استعداداً لمغادرة السفينة... وكان السكون يلف المكان وخصوصاً بعد أن خلت الحجرة المجاورة لها برحيل بلير، وشعرت بالحزن يملأ قلبها. فجلست لفترة مسندة رأسها على يديها في



يأس... ودفنت وجهها في غلالة النوم التي مزقها بلير وهي تبكي... وقررت الاحتفاظ بالقطع الممزقة ربما لتكون ذكرى لعلاقتها ببلير ولكنها ساءلت نفسها: وما الفائدة من ذلك وهو يحب ماريا دوريتوس التي ستصبح زوجته... والتي سينسى في وجودها أية امرأة أخرى، وبوجه خاص مدرّسة الموسيقى البسيطة التي عرفها لمدة أسبوعين وفي النهاية عاملها بكل احتقار.

وكانت مارلين مازالت تحتفظ بحقيبته التي أعارها إياها والراديو الصغير... وقررت أن ترسلها إليه بالبريد بعد عودتها إلى بلادها.

وفي الصباح غادر الركاب السفينة وركبوا عربة اتجهت بهم إلى شاطىء بحر الشمال... وتناول الركاب طعام الغداء على الساحل الانكليزي وكان سيلاس يجلس إلى جانبها معظم الوقت وتبادلا عنوانيهما ووعدها بأن يرسل إليها نسخاً من الصور التي التقطها لها.

ومن مدينة هارويك استقلوا القطار إلى لندن... وأخذ الركاب يودع بعضهم بعضاً بعد أن وصلوا إلى نهاية الرحلة وقبل سيلاس مارلين على وجنتيها مودعاً واختفى بين الزحام.

وعادت مارلين إلى شقتها الصغيرة في وينشستر شاعرة بإرهاق شديد، ولكنه كان إرهاقاً نفسياً أكثر منه إرهاقاً بدنياً... واستلقت على فراشها مغمضة عينيها، وبدا لها أن كل ما حدث كان حلماً، ولقاءها ببلير وحبها إياه لم يكن سوى حلم جميل... وها هي قد أفاقت منه ولكن هذه الحقيبة وهذا الراديو إنهما ملكه وقد أعارها إياهما، وهما أمامها حقيقة ملموسة تؤكد وجوده الذي لا يمكن أن تتجاهله... ونظرت مارلين إلى العنوان الموجود على الحقيبة وفكرت في أن ترسلها إليه في الحال... ولكنها عادت وقررت إبقاءها فترة... ربما ليذكرها به وبأنه لم يكن حلماً وانتهى.

وبعد مضي أسبوعين قررت مارلين إرسال حاجيات بلير إليه وخطرت لها فكرة... ربما أتاحت لها فرصة رؤيته من جديد... وهي أن تذهب إليه بنفسها بدلاً من إرسال الحاجيات بالبريد... ولكن هل من الحكمة أن تفعل ذلك!

ومرت الأيام وهي مازالت على ترددها... وبدأت تشعر برغبة شديدة لرؤية

بلير ولو لمرة واحدة قبل أن تدفن ذكرياتها معه وتخرجه من حياتها إلى الأبد.

وقررت الذهاب إلى لندن قبل أن تتوجه لزيارة والديها، لتقوم بنفسها برد الحقيبة والراديو لبلير... وأخذت تحدث نفسها وهي في طريقها إلى حيث يقيم، بأنها ستسلم له حاجياته ثم تشكره وتمضي بأسرع مايمكنها.

وكانت البناية التي يقيم بلير في شقة منها تقع في حي من الأحياء الأرستقراطية في العاصمة البريطانية... ووجدت مارلين اسم بلير بارون فان هيلدن على صندوق البريد في مدخل المنزل وعرفت رقم شقته، وبدأت تصعد الدرج، وأطل بواب البناية من غرفته الصغيرة لرآها وسألها عن اسمها وعن وجهتها، ولما عرف أنها تريد زيارة بلير بارون انحنى لها باحترام شديد قائلاً:

«لا أدري إذا كان موجوداً أم لا... وعلى كل ستجدين مديرة منزله وتدعى السيدة فلتشر... إلاّ إذا كنت تريدين رؤيته شخصياً.»

وشكرته مارلين متابعة صعودها، وقد تسارعت دقات قلبها... وعندما وصلت إلى الطابق الذي توجد به شقة بلير وجدت سهماً يشير إلى باب كتب عليه خاص بالسيد هيلدن.

ووقفت تلتقط أنفاسها قبل أن تضع يدها على جرس الباب، وأعقب ذلك صمت طويل... فشعرت مارلين بأنه إذا لم يرد أحد على الجرس بعد لحظات، فإنها ستضع الحقيبة على الأرض وتفر هاربة... ولكن الباب فتح ووقفت أمامها سيدة لطيفة المظهر نظرت إليها في دهشة تسألها بطريقة ودية:

«هل يمكنني مساعدتك؟»

فتلعثمت مارلين وهي تقول:

«اسمي... اسمي مارلين ميتلاند... وأود أن أرى...»

ثم توقفت قليلا شاعرة بأنها لاتقوى على الاستمرار في الحديث، ولكنها استجمعت قواها لتضيف:

«إن معي شيئاً يخص السيد فان هيلدن... وقد... وقد حضرت لأرده إليه.»

ثم مدت مارلين يدها بالحقيبة وقالت:



«هل... هل تعطينه إياها؟»

شعرت مارلين في هذه اللحظة بأن قلبها يئن ويصرخ في ألم... أبعد كل ذلك، وكل هذا العذاب... في انتظار لحظة رؤيته تمضي هكذا بدون أن تراه.

ولكن السيدة قالت وهي تفتح الباب على آخره:

«ربما تودين رؤية السيد فان هيلدن شخصياً... فإنه موجود الآن، تفضلي بالدخول.»

فظهر التردد على مارلين وهي تقول:

«حسناً... إنني...»

فسألتها السيدة:

«هل قطعت مسافة طويلة لتحضري إلى هنا؟»

فهزت مارلين رأسها بالايجاب فقالت السيدة:

«يبدو عليك التعب، ومن المؤكد أنك في حاجة إلى قدح من الشاي قبل أن تذهبي.»

دخلت مارلين، وقادتها السيدة إلى غرفة متسعة طالبة منها الانتظار حتى تخبر السيد فان هيلدن.

ووقفت مارلين مترددة في وسط الغرفة، وكان كل شيء حولها يوحي بالفخامة، وأخذ قلبها يدق في عنف.

وفتح باب الغرفة فجأة فالتفتت مارلين لترى أمامها بلير، رفعت عينيها إلى وجهه وقد أمسكت بيدها الحقيبة وأطلت من عينيها نظرة ترقب وخوف... ولم يبد على وجه بلير أي ترحيب بوجودها بل ظل واقفاً بالباب يعدل من وضع ساعة يده ثم أغلق الباب واضعاً يديه في جيبيه وأخذ ينظر إليها في صمت مؤلم، وقد خلا وجهه من أي تعبير ثم سألها:

«ما الذي جاء بك إلى هنا؟»

واضطربت مارلين شاعرة بأنه لا يوجه إليها سؤالاً ولكنه يوبخها، فردت في تلعثم:

«إنني... إنني آسفة إذا كان وجودي هنا ضايقك. أعتقد أنها جرأة مني أن أدعو

نفسي لزيارتك في منزلك.»

فهز بلير كتفيه في عدم مبالاة فاستمرت مارلين تقول:

«ولكنني أردت فقط أن أعيد الحقيبة والراديو إليك.»

ومدت مارلين يدها بالحقيبة إليه فقال بلير:

«لم يكن هناك داع لحضورك... كان بإمكانك ارسال هذه الأشياء بالبريد.»

فرفعت مارلين كتفيها وخفضتهما من جديد في اضطراب وهي لا تدري ماذا تقول وأخيراً قالت:

«كل ما في الأمر أنني... أنني...»

وتوقفت مارلين وكانت تود لو تصرخ قائلة: أنني أتلهف لرؤيتك مرة أخرى قبل أن أطردك من خيالي إلى الأبد. ولكنها تماسكت وأضافت:

«أنني... أردت أن أتأكد من وصول هذه الأشياء إليك وخاصة الراديو.»

«عندي أكثر من واحد... ولم أكن بحاجة إليه.»

وبدأت الدموع تتجمع في عيني مارلين وتلفتت حولها في اضطراب تبحث عن مكان تضع فيه الحقيبة واحست بأنها ارتكبت خطأ كبيراً بحضورها إلى شقة بلير.

وقال بلير في صبر نافد:

«ضعي الحقيبة في أي مكان.»

وبينما كانت مارلين تتلفت لتضع الحقيبة على الأرض، لمحت في ركن من أركان الغرفة بيانو ضخماً رائع المنظر وضعت فوقه نوتة موسيقية.

وشعرت مارلين برغبة شديدة للعزف على هذا البيانو لتنسى آلامها وأحزانها. ولما استدارت لتخرج نظرت إلى بلير الذي لاحظ في نظراتها هذه الرغبة، ولكنه لم يعلق بشيء بل طلب منها في لهجة رسمية أن تجلس.

وشعرت مارلين بأطرافها تتجمد وهي تستمع إلى لهجته الجامدة، ولكنها تراجعت إلى الخلف لتجلس حيث أشار بعد أن رأته يتقدم نحوها.

ووقف بلير أمام المدفأة ينظر إليها... ثم رفع حاجبيه في دهشة وهو يسألها:

«لا ارى في اصبعك خاتم الزواج... اعتقدت من حديثك في السفينة أنك



ستتزوجين في بحر بضعة أسابيع.»

فخفضت مارلين رأسها ونظرت إلى الأرض وهي تعترف قائلة:

«تلك كانت كذبة.»

«ماذا تعنين بأنها كانت كذبة؟»

«إنني لست مخطوبة، ولن أتزوج قريباً. إن دوغلاس مجرد صديق، وزميل في المدرسة.»

ولم ينطق بلير بكلمة فاستطردت في صوت منخفض:

«لقد قلت ذلك... لاغاظتك.»

«لاغاظتي! ولكن لماذا؟»

وأعقب ذلك فترة صمت قطعها بلير قائلاً:

«إذن فأنت لست مخطوبة... وماذا عن سيلاس هادلي؟»

فنظرت إليه مارلين متسائلة:

«وأما عن سيلاس أيضاً... إنني لا أعتقد أنني سأراه مرة أخرى... ولم تكن لي به علاقة بالمعنى الذي تفهمه.»

«ولكنك بقيت معه في حجرته عندما طلب منك ذلك.»

«كل ما حدث بيننا في تلك الليلة هو أنه أسند رأسه على كتفي واستغرق في النوم.»

«وهل تريدين مني أن أصدق ذلك؟»

«نعم... لأن هذه هي الحقيقة.»

وبعد تفكير قصير سألها بلير من جديد:

«وكم دفع لك مقابل التقاط الصور لك؟»

«لم يدفع شيئاً ولم أطلب منه شيئاً.»

«وماذا عن الملابس التي اشتراها لك؟»

«ماذا تقصد بذلك... من الطبيعي أن يشتري لي ملابس لأظهر بها في الصور... فهو كما أخبرني يعمل محرراً لأخبار الأزياء في صحيفة مغمورة.»

«ألم تكوني تعرفين أنه يعمل مصوراً مستقلا وأنه يتقاضى مبالغ كبيرة مقابل

بيع هذه الصور... وكان من حسن حظه أن يلتقي بك على السفينة لتعملي معه مجاناً... في مقابل بعض الملابس فقط.»

وشعرت مارلين بالثورة تجتاحها فاندفعت قائلة:

«لماذا تصر على الشك فيّ، وأنا لم أفعل شيئاً سوى أن أقف أمامه وأمام الجميع بملابسي كاملة ليلتقط لي بعض الصور.»

وابتعد بلير قليلاً وعاد بكأسين مدّ يده بإحداهما إلى مارلين التي أضافت قائلة في انفعال:

«في أي حال، كيف تنتقدني وأنت نفسك كنت تسافر على إحدى سفنك متنكراً كأي جاسوس.»

«أنت تثيرينني من جديد بهذا الاتهام، لقد فعلت ذلك أولاً لأنني كنت أريد قضاء عطلتي بدون إزعاج، وثانياً لأنني كنت أريد أن أعرف رأي المسافرين في الخدمة على السفن التي أمتلكها، وهو مالا يمكن أن أعرفه إذا عرفوا حقيقتي.»

واحتست مارلين قدحها، ولما لم يكن هناك سبب يدعو إلى بقائها أكثر من ذلك وقفت قائلة:

«في أي حال أود أن أشكرك من جديد على الحقيبة والراديو، وأرجو ألا أكون قد أزعجتك بحضوري.»

فسألها بلير:

«لماذا حضرت، لقد وجهت إليك هذا السؤال من قبل ولم تجيبي عليه.»

فأخذت تهز رأسها في عصبية وهي تقول:

«لا يهم هذا الآن.»

ونظرت إلى الباب وهي تتمنى الخروج سريعاً من الغرفة ولكن بلير سألها:

«هل تريدين العزف على البيانو قبل أن تذهبي؟»

ولم يكن بمقدورها أن تقاوم هذا الاغراء، فسارت خلف بلير الذي اتجه إلى البيانو ورفع غطاءه، وجلست مارلين وبدأت في العزف، وانساب صوت الموسيقى يملأ جو الغرفة. كانت مارلين تعزف بكل آلامها واشتياقاتها ويأسها وحرمانها واندفعت الدموع تتساقط من عينيها.



فتوقفت عن العزف فجأة، ووقفت وهي لا تدري ماذا تفعل لتجفف دموعها، وأخذت تدور بعينيها تبحث عن حقيبتها وما أن وجدتها حتى أمسكت بها واندفعت إلى الباب.

ولكن بلير أمسك بها وأخذ يجفف دموعها بمنديله وهو يقول:

«كفى... أرجوك ياعزيزتي لاتبكي.»

وضمها بلير إليه وهو يضع ذراعه حول خصرها فأسندت رأسها إلى صدره وأطلقت لدموعها العنان.

فانحنى بلير يجفف دموعها... وبدأ الهدوء يعود إلى نفسها واسترخت بين ذراعيه... ...

وأخذ يضمها إليه بقوة هامساً:

«كنت مشتاقاً إليك ياحبيبتي، كنت أظن أنك لن تحضري إليّ أبداً... أرجوك قولي لي انك لاتحتقرينني لما فعلته بك... قلت لي من قبل كلاماً كثيراً كان يضايقني... وسأعاقبك عليه بعد أن نتزوج.»

نظرت مارلين إليه في دهشة قائلة:

«نتزوج! ولكن يابلير إنك ستتزوج مارفا!»

«من هي مارفا... إنها مجرد صديقة... لاتعني شيئاً بالنسبة إليّ.»

«وماذا عن الخاتم... ألم يكن خاتم زواج؟»

«نعم إنه خاتم زواج... ولكنه ليس لمارفا... بل لك أنت لاحظت إعجابك به فدخلت إلى المحل واشتريته ولم يكن في ذهني في ذلك الوقت سواك.»

«ولكننا لم نعرف بعضنا بعضاً بما فيه الكفاية.»

«أحقاً ذلك! أشعر أنني عرفتك طوال حياتي، لقد أحببتك منذ أن رأيتك أول مرة، ولكنك كنت خبيثة وتتعمدين دائماً إغاظتي، حاولت الابتعاد عنك ولكن حبك سرى في كياني كله، وكم كنت أود أن أحطمك. كنت أتذكر أنك مخطوبة لدوغلاس وعلى علاقة في الوقت نفسه بسيلاس.»

فضحكت مارلين في خجل وهي تسأله:

«وماذا كنت ستفعل، لو لم أحضر لأرد إليك الحقيبة.»

«كنت أعرف أنك لابد ستفعلين شيئاً، ثم إنني أعرف عنوانك وكنت سأحضر إليك إن لم تحضري.»

ثم جذبها من يدها لتجلس على أحد المقاعد وطلب منها انتظاره قليلاً، ثم عاد بلير وأمسك بيدها ووضع الخاتم الماسي في أصبعها وقال:

«والآن... أنت ملكي...»

«ولكنك لم تقل إنك تحبني.»

«قلت ذلك بالهولندية فإنني عندما أنفعل أستعمل هذه اللغة إنني أحبك... هل تقبلين الزواج مني؟»

«نعم يابلير... نعم.»

فوضع بلير ذراعيه حولها، ولفهما الصمت بعض الوقت ثم قال:

«سآخذك معي إلى هولندا لنعيش في منزلي بأمستردام وسأكلم والدتي هاتفياً لأبلغها بأنني خطبتك وأطلب منها حضور حفل الزفاف... ثم نتصل بوالديك لتخبريهما أننا سنتوجه لزيارتهما ليتعرفا عليّ... وإلى أن نفعل ذلك... يجب أن تظلي هنا إلى جانبي!